شَمَالُ الرَوحِ...يُزْهِرُ رَبِيعٌ آخَرُ

منيــر بن رحــال

روايــة



إلى روح أبي

فَــكَّرونـــــي

فكيف أصنع فى حب كلفت به　　　مولاي قد مل من سقمى أطبائي

قالوا تداو به منه ، فقلت لهم　　　يا قوم هل يتداوى الداء بالداء

الحلاج

1 نرجس

...كانت السيدة نرجس تهم بالخروج من باب الفيلا ، حيث كان السائق في الانتظار ، سبقها الأطفال إلى السيارة ، ركبت ثم انطلقوا في زيارة دورية إلى المقبرة. إنه الموعد السنوي لزيارة أحباء غادروا إلى دار الحق... كانت تذهب بهم كل مرة في السنة لتذكرهم بالأم التي رحلت إلى السماء، وتركتهم أمانة بين يديها ، وبحكم تنقل أبيهم المستمر في عمله كمقاول بناء، لم يحض هذان الطفلان بفرصة زيارة أمهما المتوفية مع أبيهما.

كانت نرجس أمًّا حاضنة لهما، في غياب أمهما البيولوجية، رغم أنها لم تتذوق يوما طعم الأمومة، بيد أن قلبها الكبير وحنانها الغادق كان يعوض الكثير مما افتقده الطفلان.

هي تأقلمت مع هذا الوضع بصعوبة. ربما إغراءات المعيشة المترفة والحياة الرائقة التي كانت تراها فقط في السينما ، هي سبب هذا الرضا ! كما أن الترف الذي وفره لها زوجها مصطفى لم يكن يخطر لها حتى في الأحلام.

طيلة الطريق بين المنزل والمقبرة ، وهي في حالة سهو أشبه بهذيان محموم ، تتذكر كل حي تمر عليه ببؤس،ترتعد فتدفئ نفسها بنفسها. في كل موضع من هذه المدينة، لها ذكرى. لها تاريخ .

وصلوا إلى المقبرة، شمس هذا اليوم لاهبة تلفح الوجوه الناعمة لطفلين في لهفة للقاء أم اعتزلت حياتهم سريعا.

غطّت نرجس شعرها الأسود المنسدل على كتفيها بمنديل أبيض من الأوركانزا، و أعطت لكلا الطفلين مصحفا وطلبت منهما قراءة آيات منه لأمَّـــهما،
وهما يقرآن تنهمر دموع بريئة ساذجة من عيني الطفلين ،على أم لم يخبرا تضاريس وجهها، لم ينعما بحنان قلبها ...
لم يلبثوا إلا حوالي نصف الساعة، وعادوا أدراجهم للغذاء، بعد ذلك سيزورهم أستاذ اللغة الانجليزية حوالي الرابعة عصرا، ثم يخرجان لدرس في الموسيقى كالعادة، أبوهم حريص على أن يتخرج أبناؤه بتكوين بعيد تماما عن إسمنته، الذي رغم ما يجلبه من أموال، لم ينفعه في نسيان غصة شهادة علمية لم يلمسها يوما.شركته كانت نجاحه الوحيد.
خلال وقت فراغها، كانت نرجس تتابع التلفاز.تقفز بين القنوات، دون أي برنامج مسبق، هذه هوايتها ، بل هو إدمانها الوحيد ، هي لم تهتم بالانترنت يوما، ربما لأنها لا تتقن الرَّقن على مفتاح الحاسوب، لكنها في الحقيقة لا تهتم بأي نوع من أخبار الشأن العام...
خصوصا أن وسائل الإعلام العربية وحتى الأجنبية باتت مجالا لنشر أخبار الحروب والأزمات الاقتصادية منذ سنوات... هي تفضل الموسيقى وبرامج الترفيه ... أحيانا تحس من كثرة فراغها القاتل بأنها تحولت عجوز ا، لكن في جلد فتاة عشرينية .
لم يكن ينقص نرجس الجمال ولا الصبا، رغم ذلك قبلت الزواج من رجل بطفلين. هي أرادت ذلك . كان لها ما أرادت.

تبدو في تفاصيل حياتها اليومية مرتاحة لهذا الوضع، تذهب للتسوق يوميا تقريبا، الماركات العالمية تملأ دولابها..كل ما تشاء من المجوهرات ملك بنانها، و أحيانا يخطر لها السفر إلى وجهات غريبة وبعيدة ، فتسافر... ربما كانت تبحث عن ابتساماتها الضائعة هنا أو هناك أو هنالك ... لا شيء يهم فمعها المال، ويمكنها أن تصرف كيفما شاءت .

حينما كان يأخذها مصطفى إلى بعض الحفلات العامة ، كانت لا تشعر بفارق كبير ، فحزنها الدفين والقديم كمومياء مصرية يرافقها كظلها،نظراتها تظل بعيدة، رغم أن ابتسامتها الساحرة التي تطل من خلف حياء مصطنع ، تشعر الحاضرين بأنها أنثى في سعادة مطلقة ، إنه قناع آخر تعلمت، بل أحسنت ارتداءه من الأيام. تبدو زوجة مثالية لرجل مهم.

كان مصطفى يعاملها كملكة، وعطفه تجاهها أشعرها مراراً بأنها طفلته المذللة . في الحقيقة كانت هي شهر زاده، لكنه هو ، لم يكن شهرايارها الذي حلمت به، هو يملكها جسدا لا روح فيه. يمكن أن تكون الأيام قذفتها إليه على طبق ذهبي، فهي كانت امرأة بلا روح بل بلا قلب ، فأين يمكن أن يسكن فرح محتمل ولو للحظات !!!

إن ما يجعلك عظيما هو ألا تستطيع أن تنتهي

جوته (الديوان الشرقي للمؤلف الغربي)

2 نوّارة

... إنه يوم الجمعة ، كانت تخرج معه إلى المسجد للصلاة ، هذا يوم فرحتها الأسبوعي حيث ترى الشارع بعد طول فراق ، بعد فراغهم من صلاة الجمعة ، كانا يعودان مسرعين، كانت تتمنى أن تتأخر خارج البيت، لتشتمّ نسيم حرية أو ترى بعض أنوارها .

عندما كانت تجلس أمام المرآة، كي تتأمل المرأة التي أصبحتها، كانت ترى امرأة لا تشبه ما كانت تريد، ربة بيت، زوجة منقبة ممنوعة من رؤية العالم ، لا تراه إلا أيام الجمعة، من خلف ستار ـ أن ترى العالم بوضوح أكبر ـ ، كان بحاجة في نظرها إلى تعرية الأشياء ، تعريتها حتى نتعرفها بدقة ، وهاهي تستسلم لزوج جعلها جثة محفوظة بعناية، لكنها لا تشعر بأية سعادة ، ترى هل هذه عبادة أم سجن؟ ومتى كان الله يعبد بالأثواب؟

شعور خاص كان ينتابها حين تنزع ذلك النقاب الأسود عن وجهها، تحس أنها فراشة مزيفة تختبئ خلف حرير باهض الثمن، لكن بلا جدوى، فعيناها كانتا تدمعان أمام مرآة الروح، جلوسها أمام المرآة كان مغامرة لا تنتهي، تأخذها في قصص كثيرة بلا نهايات ، سمعت صوت زوجها وكأنه ينادي في صحراء خالية :

- نوارة ، هيا للغذاء .

قالت في نفسها ، " حددت دوري ، و كان ما كان "، أجابته مرتبكة :

- حاضر ، دقائق ويكون الأكل جاهزا .

كان يعاملها بودّ، جعلها مترفة ، الخدم يقومون بكل شيء. أما هي، فتكتفي بالأوامر . كانت تستحي
منه كأب، بل إنها تشعر بأنه أب فعلا. أمه الثمانينية، فقدت الاتصال بالعالم حسيا ، هي لا تسمع ولا ترى ، لكنها تعيش ...وتعتمد على نوارة في كل شيء ، تغذيها ، تتغذى معها . أحيانا تحس نوّارة أن أم زوجها تتغذى عليها ...كثيرا ما ذرفت عيناها دموعا على هذه المرأة / الماضي ، هي لا تعيش الحاضر ولا مستقبلا ...

كل ما تعيشه لحظات عذاب، عذاب تشترك فيه نوّارة معها، زهرة في فجر عمرها ترافق وردة فقدت كل أوراقها ، يبست ، وبدأت تغري الموت بزيارة قريبة...

في عينها ، كان يبدو عبد الغني بقلب نبي في زمن صامت، كثر فيه الغادرون و الخائنون، انتشلها مما كانت فيه. فقر وجوع و يُتْم ، خلطة لا تقودك إلا إلى الكفر. وهو قادها بحبه إلى الإيمان ، رحلة روح قطعتها معه إلى سماوات العشق، هي التي حرمت حتى من لعب الأطفال .

كان الأب الحاني ، مدّ لها يد النجدة في وقت تنكر لها الجميع، لذلك هي تراه الإنسان الكامل - وتمنحه قلبها- ، وترى أنه يستحق أكثر.

حنّة ، هي ابتسامتهما .كل الحبّ كانت تناله ، هي محط أنظار وانتظار الجميع ...فبعد أن اكَّد الأطباء استحالة الإنجاب لعبد الغني، اضطرت نوارة إلى التبني ، بعد سنتين من الزواج، بان الفراغ في حياة شابة، تعيش على إيقاع أمومة بلا ملامح محددة ...

التبني كانت فكرتها ... هو رفض... هي أصرتْ ... لقد ملت الجلوس في بيت طويل عريض بارد طيلة سنتين، كما أن السيدة عالية أم عبد الغني، غير قادرة على أي تواصل، فكيف لفتاة في مقتبل العمر أن تعيش محرومة من أمومة و لو افتراضية ...

إصرارها كان استثنائيا، لذلك اضطر إلى القبول، ودخلت حنّة حياة هذه الأسرة الصغيرة.

لم ينقصها يوما شيء، سوى التنفس بحرية، أحست دائما أنها في قفص من ذهب ، لكنها غير قادرة على التحليق عاليا ، ترى فيما تصلح الأجنحة إذن ؟؟؟

حنّة زادت الحياة بهاءا، أدخلت معها فرحة الانتظار وفرحة الأعياد، ..كانت نوارة ترى نفسها في حنّة ، وهي تسرح شعرها الذهبي المخملي، تتذكر طفولتها البائسة، و حين تغني لها أناشيد المساء لتنام ، كانت تحن إلى صدر أم لم تحض بها لوقت طويل.

حنّة أصبحت دور نوّارة في هذه الحياة ...هي لا تريد أن تنتهي...

يكاد حين تُنَاجِيكم ضَمَائرنـــا يقْضي علينا الأسَى لولا تآسِـــيـــنـــا

ابن زيدون

3 ياسمين

...ثلج إيفران... أم...شمس دبـــــــــــــي...؟؟؟

دبي ساخنة هذا الصيف ـكعادتهاـ ،تزامنا مع افتتاح برج خليفة، شوارعها الفخمة مزدحمة بسيارات من كل شكل و لون.

كل شيء في هذا المكان اصطناعي، حتى ينابيع الماء.

ترى هل يقارن الجمال الطبيعي بهذا المسخ ؟!!

كانت تقول في نفسها دائما هذا الكلام ، هي ابنة مدينة ينابيعها حقيقية، مياهها بصفاء عيون الأطفال، إيفران، سويسرا مصغّرة في المغرب ، كما كان يحلو لها تسميتها، أحبتها ، لذلك هجرتها.ترى هل كتب على المحبين عذاب الفراق؟

كانت تقول لصديقاتها دائما :

- تصورن، أنا ابنة مدينة ثلجية وجئت لأعيش واعمل في مدينة لا تنزل فيها الحرارة عن 50 درجة ؟؟؟

يغلفهم استغراب بنات الصحراء :

- الثلج ... كنت تتزلجين على الثلج ؟!

كانت تجيب بابتسامة ريفية ساحرة، وتغير الموضوع .

هن لا يعرفن أنها في طفولتها ما ملكت حذاءا، فقد كانت الصنادل البلاستيكية التي تشتريها لها أمها في العيد الصغير (عيد الفطر)، رفيقتها الدائمة في الثلج والحرارة. التزلج كان ترفا لمثلها، مع أنــــها عاشت عشرين عاماً وسط الثلوج .

الألم سبب جمال صوت المطرب. كلام عميق كان يردده الملحنون الذين تعاقبوا على صوتها الجبلي، لم يعرفوا أن نزلات البرد التي كانت تصيبها سبب بحتها النادرة.

في صوتها ميزة يشعر بها كل من سمعها. صديقاتها ، عندما يرون تألقها فوق خشبة المسرح ، يعتقدون أنها درست في كبريات مدارس الموسيقى ، وهي التي لم تطأ قدمها باب مدرسة قطٌّ. لكن وضعها كمغنية معروفة في دبي يجعلها فوق الشبهات. كانت تقول في نفسها :

- عندما تملك المال، لا أحد يسأل عن أحزانك.

هكذا كانت تشعر . أو هكذا كانت تعيش.

أسئلة من قبيل : من أنت ؟ ماذا يؤلمك ؟ هل تعانين مشكلة؟ لا تطرح في دبي، هنا لا مشاكل. الناس هنا – حولها- مشغولون بآخر صيحة أزياء، وآخر موديل سيارة ، وآخر أغنية ... ولهذا جاءت .

يا للفرق بين دبي و إيفران !!! كانت تهمس لنفسها.

في إيفران الطبيعة حية، والناس أموات. وفي دبي يحيون الطبيعة، كل شيء هنا من صنع البشر، وكم هو الفرق كبير بين صنع الله وصنع البشر؟ الطبيعة في

إيفران تصرخ لله أن يبعد عنها أيدي لصوص الخشب. و هنا تصرخ الأحجار من القاطعات التي تحملها على التواجد في الصحراء ، مع أنه خلقت لتعيش في شرقي أوروبا.

في إيفران ودبي لصوص الطبيعة بلا عدد.

كانت وصلتها الغنائية محببة لدى الجمهور، صوتها الجبلي الفريد كان يقدم لهجة الخليج بأحلى ما يمكن، في مرة غنت طلال مداح، فما لبثت أن اكلمت (مقادير)، حتى

انهالت عليها الهدايا، كانت تغرق وسط الهدايا، لا تعرف أسماء من يبعثها، ولم يكن يأتيها الفرح مع الهدايا...فالحزن أقسم أن يسكن قلبها الصغير.
جاءت إلى هنا في مراهقتها؟ حلمت بامتلاك المال، كانت تقول :

- لو ملكت المال، لفعلت الكثير ...

الآن ها هي تملك المال ، فأين هو هذا الكثير الذي ستفعله؟

كان التسوق متعتها الوحيدة، ففي دبي الأسواق في كل مكان... يكفي أن تحمل معك credit card وتفتح لك أبواب النعيم ...لكن مع الوقت أصبح الجلوس في البيت هوايتها. حتى الاستماع إلى الأغاني كان لا يستهويها، خصوصا عندما كثر المغنون و المغنيات, أصبح بعدد شعر الرأس.

راودتها في أحيان كثيرة فكرة المشاركة في مسابقة للغناء، لتعلن للعالم وجودها...ليس الخوف من الفشل ما كان يمنعها، فصوتها وخبرتها كافيان لجلب اهتمام الجماهير ...و إنما الخوف من الظهور على الشاشات ...

هي مثل الفراشة، إذا اخترقت احترقت ...كانت أحزانها مربوطة بالظهور، تريد الابتعاد...الاختفاء... أو الاختباء على الأقل ...الاختباء لعبة طفولتها...كانت تخبأ في صدر أمها من البرد عندما كان يقل الزاد في بيت خشبي، يزغرد البرد فيه ليلاً، وتؤثثه الشمس في النهار من كل الثقوب الموجودة في السقف.

صديقاتها الخليجيات، كن معجبات ببشرتها البيضاء، بشرتها هي سر جمالها. وكان سؤالهن القلق والمقلق لمضجعها:

- ليش ما تزوجتي للحين ؟؟؟

كانت تجيب بتهكم قل نظيره :

- ربما الرجال هذه الأيام، لا يرون إلا الجمال المحشو ب botox .

كن يضحكن حتى الثمالى. وهي، فعلا كانت جميلة، بعيون سود وشعر عسلي، يغطي نصف جسد منحوت...امرأة استثناء بمقاييس من رأوها، لكن الزواج كان آخر مشروع يخطر لها على بال.

حفلاتها في الفنادق، تستمر حتى الصباح. هي كائن ليلي منذ زمن بعيد، تعايشت و إيقاع الليل، مذ كانت صبية. والآن ها هي تحترف الليل لتبدع فيها أجمل أغانيها.

في عينها كان النائمون، مخلوقات مشغولة بالأكل والشرب وجمع المال ...الليليون يعاشرون النجوم، أما النهاريون فلا يرون إلا خيوط الشمس...

موال :" الليل يا ليلى يعاتبني ويقول لي سلم على ليلى"، لن تحس به نهارا... لذا كان الليل مأواها ، هكذا كانت تقول هي. ياسمين تنام نهارا، و لا تبدأ الحياة لديها إلا عندما يموت آخر شعاع شمس في الأفق البعيد...

يا من يعزُّ علينا أن نفارقهـــم   وِجْداننا كل شيء بعدهم عدمُ

المتنبي

4 وردة

في كل مساء، كانت تتجمل، تعد نفسها للخروج. أمها القعيدة، تظل في البيت بين صلاة ودعاء. رضاها كان وضاحا بهذا القدر الذي شاء لها أن لا تتحرك.

كانت وردة تخبر أمها أن عملها في المستشفى ليلا، هو من أجل مال أكثر، النهار لن يجلب أبدا أموال الليل ... كانت تقنعها بذلك. و كانت أمها تقتنع، لتغطي مصاريف علاج طال أمده. عملها في المستشفى كان قناعتها وقناعها وسط الناس، بل حتى مع نفسها.

استطاعت وردة منذ وفاة والدها في حادث سير- الذي لم ينالوا عنه أي تعويض رغم الماراطون الذي قامت به – استطاعت أن تنتـــــــــقل أمها من ذلك الحي

الصفيحي البائس، إلى حي أكثر رقيا . هناك في دور الصفيح لم تكن تملك مرحاضا ، لم تكن تستحم إلا ليلاً، خوفا من عيون ذئاب جائعة تتربص بغزالة يانعة، لم تعلن للعالم وجودها بعد.

عندما ولدتها أمها، أهدتها اسم وردية، لأنها كانت زهرية اللون، كزهرة لوتس ولدت على ضفة نهر، لكن هذا الاسم لم يعجبها يوماً، فجردته من ياء النسبة، وتركته 'وردة '، ولأجله أحبت وردة الجزائرية، لقد عاشت أغنياتها حقيقة، لو أتيح لمخرج تصوير حياتها، لأنتج سلسلة أفلام...شرائط وردة ترافقها في السيارة في البيت في النوم، بل حتى في المستشفى ، أقصد الفندق حيث كانت تشتغل...

ألف ليلة وليلة، تعني لها الكثير، هي جنونها، تذكرها هي و"راحلة" بأن الحب لعبة كرٌّ و فرٌّ ، ليس معروفا من الرابح فيها ومن الخاسر..لذلك يكون الدمع إعلانا لنجاحها وفشلها.

وردة و الحياني أصدقاؤها،في زمن انقرض فيه صديق.

لم تكن ترتاح لأحدٍ. منْ في سنها تجاملهم وتجاملهن. ابتساماتها سرعان ما تذوب كتلك المسكرة التي تضعها.

الزمان علمها الكثير، لا صديق اليوم أفضل من المال، هو صديقها في السراء كما في الأزمات...أن تعمل في فندق لم يكن اختيارها، كان اضطرارها، لايهمها هذا الآن...فعلى كل حال الشهادات العلمية لم تكن يوما تشغلها ...بل لم تكن لتمنحها ما تملكه الآن، في مرة سألت إحدى الموظفات في إدارة عمومية حيث كانت تعد أوراق جواز السفر :

- كم يعطونك؟
- 2500 درهم
- في اليوم ؟
- لا ، في الشهر .

تعالت ضحكاتها، حتى استفزت رواد تلك الإدارة ، وتشنجت الموظفة من هول الإهانة ...

2500 درهم كان ثمن حذائها الأخير، حذاؤها بأجرة موظفة، قد تكون هذه المرأة أمًّا لخمسة أطفال وبزوج عاطل...يا لها من حياة!!!

كانت تضحك دائما ، ضحكاتها المبتكرة قناع مأساتها.

الموظفون ليسوا على أي حال من زبنائها، ولن يكونوا من أصدقائها المقربين.

مرة قالت في نفسها:

- ماذا لو طلبت تغيير وظيفتي في الفندق ؟

لكنها ما لبثت أن تراجعت عن فكرتها اليتيمة، فعروض العمل التي وجدتها، تشجع على لزوم البيت، (طلب مربية بإجازة في الفرنسية أو الانجليزية،طلب سكرتيرة جميلة وأنيقة وتتقن لغتين على الأقل، طلب ممرضة بخبرة سنوات...).

من وضع هذه الإعلانات كان يستهدفها لكي لا تأتي، أو لكي لا تغادر عملها في الفندق.

كانت ترى في تلك الإعلانات، خرافات. فهي لا تملك شهادات ولا لغات، رغم ما تملكه من طول يتجاوز 1.70، وجمال أنثوي، وجسد!!! في الحقيقة هي لا تملك إلا هذا الجسد .

هكذا استقر رأيها في عملها المعتاد، فهو إضافة إلى الأجرة الخيالية التي يمنحها إياها، يمنحها فرصة البقاء رفقة أمها نزيلة فراش المرض نهاراً وفاؤها لأمها يعوضها غياب أب لم تره.

هي لم تحض بفرصة رؤيته في مراهقتها، رأته فقط في صور اجتهدت أمّها أنْ تحفظها، من نيران التهمت ذات مرة بيتهم في دور الصفيح.

كان وسيما، رغم فقر حاله، معلم بسيط في إحدى المدارس ضواحي الدار البيضاء، كان يحلم بها

طبيبة أو معلمة مثله... لكن الموت خنق هذا الحلم في مهده. وعجّل بدخول الفقر القاتل إلى حياة وردة، وردة لم تشم بعد روائح الحرية.

مرض أمها كان نتيجة صدمة عصبية، فبعد موت الزوج لا معنى للحياة .

اشتغلت أم وردة خادمة بيوت، في غياب دية حادثة قاتلة، ولم تلبث أن توقفت لأسباب صحية ...ولهذا أيضا لم تكمل وردة دراستها الابتدائية...فوجدت نفسها في بيوت الناس المترفين...كانت نظرات الذئاب تطاردها... أدركت أنها ستسقط يوما في مخالب أحدهم... فالذئاب لا تعرف لعبة سوى القتل ...و لو لم تكن جائعة...

عجّل المرض بقعود أمها في البيت بصفة نهائية، فكان على وردة أن تجد الحل, أن تجد حلا لحياة أقرب إلى الموت في غول بحجم مدينة الدار البيضاء، مهمة شبه مستحيلة...الناس فيها بوجوه كثيرة، وكم قليلٌ هم الطيبون؟؟؟

كلموني ثاني

ما أعجبَ الايامَ توجِب للفتى مِنحًا، و تمنحه بَسلبِ عَطاءِ

عمر ابن الفارض

1 نرجس

- كنت أحب أن أكون امرأة عادية .

هكذا كانت تقول ، لكنها لم تحدد يوماً معنى " امرأة عادية"، هل كانت تقصد زوجة وربة بيت؟ أم فنانة مشهورة ؟ أم شيئا آخر ؟؟؟

يبدو أن الدُّوَار الذي يعيش داخل رأسها، ناجم عن هذه الأسئلة التي تركتها معلقة كفساتينها التي أهملتها كُلّها.

أبواب الذكريات عندها ما تزال مفتوحة... الجروح لا تموت...رغم اندمالها تظل موشومة، مع أن التجميل – هذه الأيام- غير هذه القاعدة. لكن،...بداخلنا نحتفظ بأشياء الماضي، فهل يخترع المخترعون تجميلا للاشعور؟ حتى يمسحوا من ذاكراتنا آلام ماضينا ...إذن لبقينا بلا ذكريات و لا ذاكرات...

الله خلق النسيان على ما يبدو لكي نشفى من الماضي، و لو أن نرجس لم تنسى بعض ما كان في ماضيها، لكانت الآن في مشفى للمجانين، بدل أن تسكن فيلا فخمة في أرقى أحياء مراكش، ولا ركبت سيارات، ولا كانت زوجة رجل مهمٍّ ...

لا مشكلة لديها مع المال، فعمارات زوجها الكثيرة، ومشاريعه التي تتثمر الملايير، تجعلها تعيش كملكة .

الكثير من المال، لم لكن يجلب معه لنرجس الكثير من الابتسامات، سوى أنه كان يحقق رغبات كُبتت منذ طفولة منسية ... الحرمان. هذا الشعور الذي عاشته كزهرة برية لم تحض بنظرة اهتمام من أحدٍ...عدم حصولها على لعب في

الأعياد، جعلها تشتري الكثير منها لأبناء زوجها، في الحقيقة هي كانت تشتريها لنفسها، كانت تلعب بها خلسة منهم ... و تتذرع بترتيبها إذا ضُبطت..صعب جدًّا أن تعيش طفولتها في
حيها الهامشي ...لم تكن – هناك- متاحة إلا القذارة ... القذارة كانت لعبتها، فالحاجة كانت تجعل شراء لعب للأطفال ترفاً أمام شراء الخبز ...

كانت تنظر إلى ابني زوجها بحقد طفولي ...فبداخلها ما تزال تعيش طفلة ...طفلة بلا لعب ... بلا دُمية ... لا أحد يشعر بطفل محروم من لعبة إلا هو . وهي تشعر حقا بهذا.

طيف ماضيها يحلق على كتفيها ...و رغم ما تضعه من مسكرة على وجهها، لا تخفي أيا من سطور ذلك الماضي... الماضي يظل موشوما على جباهنا ...فأنى ننساه؟

كانت على موعد الليلة مع زوجها، مصطفى وعدها بخرجة مسائية بدون اصطحاب الأطفال ...سيتكفل الخدم بهم في غيابها ...على غير العادة سيخرجان معا الليلة ، لذلك تجملت ، تبرجت بإفراط..لتستحق صفة زوجة رجل مهم !!!

هي آمنت منذ زمن أن اللباس أهم من صاحبه ...
يا لها من سذاجة؟؟؟

أم هو خبث التواصل الاجتماعي ؟؟؟ يكفي أن تلبس آخر الماركات لتبدو مهمًّا... لا يهمّ من أنت؟

فلسفتها كانت واضحة في هذا المجال...جاءها في موعده، الثامنة كان في الانتظار، استقبلها كنجمة أمام باب البيت، خرجا...و قضيا سهرة عمر ...هي أنثاه ...و تستحق لفتة (جنتلمان) مثله...

كل شي   فيكِ يذكرني بشيء حتى صوتي وضحكتي لك فيها شيء

الأماكن كلمات مطيع العوني،غناء محمد عبده

2 نوّارة

حنة، منذ دخولها بيت نوّارة وزوجها عبد الغني، و هي شمعة وجودهما، طفلة جادت بها الايام ، ثمرة حب ، حب خادع، طفلة لا تملك مشروعية الحياة، و بلا حق في هوية...
أي حب هذا الذي يطعن زهرة ولدت للتوّ في عمق وجودها؟؟؟
نوّارة رغم كونها ليست أمّا بيولوجية لحنّة إلا أنها تحمل في أحشائها أواصر قرابة تاريخية مع هذه الزهرة البرية، هي أيضا زهرة برية جادت بها تلك العلاقات المشبوهة ...وعد بالزواج..فلقاء ...فولادة بلا زغاريد..كم هي متشابهة هذه القصص ...وكم هي مملة نهايتها ...

نوّارة، لم يعد يهمها مصيرها هي، تريد حلاًّ لابنتها، ماذا ستقول لها عندما تكبر و تسأل: من أكون ؟؟؟
لا تملك نوّارة الجواب، فالمستشفى الذي أهداها إليها لا يملك أية أوراق تثبث هويتها ... وضعوها في باب الحديقة المستشفى ... ثم ذهبوا ...والليل ستر كل شيء...
وجود حنّة ذات الربيع السادس، غير الكثير في حياة نوّارة وزوجها ، حتى الأم الطاعنة في الأيام، ترى فيها شيئا مختلفا عن ساعاتها المتشابهة ...ربما أرادت أن تقول لها الكثير...لكن لغة الحركات لم تسعفها كما لغة الشفاه ... لكن لغة العيون كانت تقوم بالغرض ... دموعها توصل رسائل حبٍّ تلخّص كل كلام الدنيا... لغة الشفاه تعجز كثيراً

عن تبليغ ما نريد ... هناك في الجنوب الجبلي حيث تلتقي الجبال بالصحراء ...حيث ولدت نوّارة، يبكون في الأفراح و الأتراح، يبكون حتى عند توديع ضيف عابر، لا يصدقون أن الوقت ينتهي

...ربما ارتفاعهم عن سطح البحر يعطيهم الإحساس بإمكان التحكم في الشمس ...لو استطاعوا لمنعوها من الرحيل ...إذن لأصبح الضيوف أهل المكان ...

لكن أسرة نوّارة لم تستطع منعها من الرحيل ...تراهم ما زالوا يبكون فراقها الذي طال؟؟؟!

بحكم مرض أم عبد الغني، لا تخرج نوارة إلا لمَــــَاماً، خاصة يوم الجمعة، هو تاجر أثواب، ورث ثروة عن أبيه، و راكم عليها الكثير بفضل اجتهاده، دائماً فكّر في أن التجارة خير من الإجارة، رغم نيله لإجازة في العلوم الفيزيائية، فضّل شَغْل محل والده في حياته ، وبعد وفاته تابع المسيرة...

وجود أمه الثمانينية الفاقدة لذاكرتها والقعيدة، كان مشكلته الوحيدة، شلت حركته لسنوات ...حتى ظهرت نوّارة ...حيث أصبح لمحلاته فروع في أنحاء البلاد... وذاع صيته.

هو، لم يشرك مرة نوّارة في شيء من أعماله، مهمتها كانت أمه، أمه فقط. دورها كان محدداً و معروفاً، وهي، أتقنته بجدارة، أحبت فيه كرمه، وهو أحب فيها رعايتها لوالدته، يرى ذلك نتيجة حبها له ...أو ضريبة حبها له، لكن هل دخل قلبها ؟؟؟ هل فتش فيه؟؟؟ هل سألها؟؟؟

وحدها نوّارة ،كما أسماها- هو- تعرف. اسمها المثبت في شهادة الميلاد زهرة، هي لم تمتنع عندما اقترح عليها هذا التعديل المفاجئ، ربما اعتبرته نوعا من التدليل على الحب.

ككل يوم ، في المساء ، في الثامنة تتجمل له، تهيء له، تستعد للقاء. هي ترى في تجملها فريضة زوجية، وفي أحيان كثيرة تحسّ أنها ضريبة كرمه الحاتمي معها. لا تضيع نوّارة وقتاً، فالثامنة موعدها ينهي أشغاله وصلواته، ويأتي منزله. دخوله كان يذكرها بدخول أب حلمت به، ترى كيف كانت ملامحه؟ هل تشبهه ؟ أم تشبه أمها؟؟؟!

أحبته أبا أكثر من زوج، هي الآن امرأة أخرى، تريد أن تنسى ماضيها، صحيح أنها تخفي شحوبها بشيء من البودرة البيضاء، لكنها مع ذلك تظل شاحبة، لذا كانت تزيد من مسكرة وجهها المستدير ، حتى ليبدو كقمر ليلة اكتمال ...

في مبالغاتها التجميلية إبداعات، كثيرا ما كانت تحرج عبد الغني، هو يستحي من منعها، كونها تتجمل له ... وكثيرا ما كانت تحرك ابتساماته، يكفي أنها ممنوعة من الخروج إلا معه... لماماً...

لقد سمح لها بهذه الهواية النسائية كنوع من التعويض...

لكن هل هو تعويض عن طفولتها التي فقدتها مبكراً ؟ أم عن سجنها في قفص الزواج؟ أم تعويض عن عقم جعلها تصبح أما اصطناعية ؟ أمّاً وهمية ؟؟؟

بعض الأسئلة كانت تتعب عقلها، خاصة عندما تطيل الجلوس أمام المرآة، لذلك تسرع للنزول من غرفة نومها...لباسها المكشوف من الكتفين...لتغريه...أو لتنسيه عياء يوم كامل ...أو لتنسى عياء السنين...

الجواهري

خُذوا كبدي قبل الفراقِ فإنها معودة ألا تَقرّ على النــزح

3 ياسمين

كان من الصّعب علي معجب أن يقنعها بموعد قريب، مذكرتها مملوءة عن آخرها، المساء هي في الفندق، تغني. قبله هي في صالة الرياضة. السبت لديها حصة تداريب صوتية صباحاً. في المساء لديها لقاء مع الملحن أو تسجيل في الأستوديو، الأحد هو يوم عطلتها...

كان هذا مضمون عقد فرضه عليها مشغلها الخليجي الذي استقدمها من إيفران إلى دبي، لقد عَثَرَ على جوهرة، و عرف كيف يستغل ضعف تجاربها ليأتي بها إلى بلد البترول والجُزِر الاصطناعية ...كفيلها في دبي جعلها آلة مبرمجة على العمل ...

خلال السنين الماضية، تعلمت مع الأيام و الشهور أن المرأة ليست جسداً فحسبْ، هي عقل قبل كل
شيءٍ. لذلك مهْما كانت العروض مغرية أمامها، تتردّد كثيرا في قبولها، يكفيها هذا (العقد /القيد) الذي طوّق عنقها دون علمها بمضامينه. لقد جعلها هذا (العقد /القيد) جارية في سوق لا رحيم فيه. جواز سفرها ووثائقها الثبوتية لدى الشيخ فهد. خيوط حياتها بين أصابعه.

يبدو أن فهد أخذ كثيراً من اسمه، فهو فهدٌ في نظراته، وفهدٌ في تحركاته الهادئة الخبيثة، انقضّ عليها فتاة غِرًّا بلا تجارب و لا تعليم، ضحية سهلة و جميلة، و بصوت خرافي ...لما لا يقنعها بالعمل في عاصمة المال، في نواحي إيفران - حيث كانت تحيا- الناس يموتون بردا، وهنا في دبي الناس يموتون من التخمة...

حينما تسترجع هذه الصور تقول بلا تردد:

- كيف أرفض عرضا للعمل في عاصمة يتهافت عليها العالم ...من الجنون أن أرفض.

رن هاتفها على الساعة الخامسة مساءا...

- ياسمين ، هذا أنا ...
- أنت؟ من تكون؟
- أنا المحتاج إلى نظرة منك...

استوقفت لهفته المراهقة بسرعة:

- هِيْ... تمهل ، فأنا بلا قلب ...لا تحاول ، لا تجرب الاتصال بي مرة أخرى.

أغلقت محمولها ، وعادت لتكمل استعدادها لسهرة الليلة.

هي الآن شابة، لكن في عمقها تسكن امرأة بتجارب لا متناهية. أسرتها هناك في الجبال الباردة، تنتظرها معدات فارغة... وأفواه ثلاثة أطفال ما زالوا يحتاجون مصاريف الدراسة و الحياة.

أمها تمكنت من إدخال الماء الصالح للشرب و اشترت ألواح و بطاريات الطاقة الشمسية لتدفئ بيتا غاب عنه ظل الزوج والأب من سنين. في منطقة جبلية نائية، لا أحد يقدم المساعدة إلا لنفسه.

أمها تعرف أنها تعمل، كانت تقول لها دوماً أن العمل عبادة. في الجبال الناس يعبدون الله بقربٍ أكبر، لربما قرب المسافة بين أعالي الجبال و السماء، يعطي المرء قربا أكبر من الله... لذلك تراهم يتصبرون ما أن يرفعوا أبصارهم الخاشعة إلى الأفق ... في الجبال الناس يبالغون في العمل كثيرا لأنه عبادتهم.

ذكريات عائلتها، تجعل قلبها لا يدق خوفاً، رغم أنها تغني الحب يومياً، تغني الحب ولم تعش الحب. حذرها مشغلها منذ البداية :

- أنتِ هنا للعمل ، للعمل فقط، لا حب ولا علاقات .

فهد كان فهداً فعلا ، حدد لضحيته هامشها، واصطادها. هو يريد صوتها فقط... ربما لم يحن الوقت بعد لقطاف تمارٍ لم تنضج بعد.

التحقت بقاعة العروض لتقديم وصلتها أمام الجمهور، جمهورها نخبوي، فقط الأغنياء جدا يحضرون حفلات خاصة.كان حفلا بمناسبة توقيع عقد بين الفندق حيث تعمل وشركة خاصة للإعلانات،و بالمناسبة حضر الكثيرون مدراء و ممثلوا شركات فنانون و حتى سياسيون، بعض المغاربة كانوا من المدعوين. رمقها أحدهم، أحس بلهجة ياسمين الأطلسية، فقال لصاحبه:

- أقسم أن هذه المغنية مغربية...

فقاطعه صديقه:

- كلما رأيت مغنية تظنها مغربية.

فرد معقبا:

- صوتها مميز، فيه بحة من أطلسنا، ذكرتني في مطلع موالها الخليجي بموايل الأطلس ...لكأنها تبكي يا صديقي...أو كأنها تطلب التجدة...

لقد أحس صاحبنا بعمق السيدة، قليلا ما نجد أشخاصا ينظرون بمرآة أرواحهم لا بعيونهم البارزة. فقط الكبار يرون بأرواحهم(إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور).الآية.

أما صغار الناس فيرون القشور، الأقنعة تبهرهم...

...أنهت ياسمين وصلتها الغنائية، و دأبت في كواليس القاعة، كفراشة ملونة غابت عنها الأضواء فجأة.

هي تفضل كهفها حيث لا أضواء و لا أقنعة ،على منصة مسرح يجرد الإنسان من حقه في الخصوصية، لكن من يملأ أفواه إخوتها بالخبز، هناك لا يوجد إلا الثلج، وقلّة من يصمدون !!!

" سلح عقلك بالعلم ، خير من أن تتزين بالجواهر."

الحكيم كونغ،كونفوشيوس 551 ق.م

4 وردة

في وقت فراغها، لا تجد وردة إلا في قاعة للرياضة تزيد رشاقة جسدها، أو في صالون فاخر للتجميل لتصفيف شعرها، أو في محلات للملابس ذات التوقيعات العالمية... في الحقيقة هي لا ترضى إلا بكل ما هو غال و ثمين، تعودت على هذا منذ بدأت الاشتغال في الفندق/ المستشفى، في الحقيقة بعض المستشفيات تشبه الفنادق، هي أيضا مصنفة بنجوم، كما أن خدماتها تختلف باختلاف المرضى، فتنوع خدماتها حسب الزبون.

هذه الليلة، هي على موعد استثنائي، منذ عشر سنوات، حين بدأت العمل لم يحدث أن وقعت على زبون بهذا الوزن، شامي طاعن في السن، شعره
المستعار البالغ السواد، لم يخفي شيئا من تأثير السنين...وطقم أسنانه الثابت نقَصَ من عمره ثلاثين سنة كاملة،كما حقن ما يكفي من البوطوكس ليوهم الناظرين بوجنتين متوردتين لشاب عشريني...

- يا لغرابة هؤلاء الناس؟ يشترون الصبا. فهل يشترون الحياة ...عشنا و شفنا .

كان (الزّلمه) في قاعة الضيوف، ينتظر... ينتظر هلالها.

رفقة النادل قدمت بتأنٍ مبالغ فيه، كانت تسير وكأنها تحمل أثقالا...هي فتنة الجسد... لبؤة جائعة تعرف ما تفعله بضحية سهلة...هذا ما كانت تظن.

ما أن رآها واقفة أمامه كتمثال، حتى تدلت عيناه من جحرهما، وتسارعت دقات قلبه المتهالك، قالت في نفسها:

- أما شبع هذا العجوز الفاني من الدنيا؟

فأجاب فضولها. لثم يدها بلهفة عطش عثر على ماء في بيداء. كاد يسقط لبياضها. عيونها ظلت مستغربة هذا التصرف المتسرع من رجل سبعيني في مقام جدها.

اعتقدت أنه يريد تدليكا كغيره من الزبائن...لكن... يبدو أنه جمر متقدة، فر من حروب لبنان المفاجئة كأمطار الشتاء، ومن أحزابها المتناقضة...إلى أرض تمنح الأمان للعابرين...

جلست معه لساعة ، تحدثا ، حكى لها من يكون ، عرف أنها ممرضة بشهادة اختصاص في التدليك والوخز بالإبر الصينية، التدليك كانت مهنتها، لكن فكرته عن التدليك كان غلطاً، فحاول مرارا أن يستدرجها في الحديث إلى كهفه المظلم ، لكنها كانت مصرة على أن تبقى تحت الشمس...مرتْ ساعة أخرى، لكن بلا جديد...يبدو أن هذا العجوز لا يريد تدليك عظامه المتداعية فقط... فبدأ يساومها على ليلة خاصة ... تتالت

ساعة أخرى، و هي تنقب عن نهاية لهذا الموعد المجنون، ساعة الحائط الكبيرة التي علقت أمامها كانت تقول كل شيء، وتستفز فضولها ... قلب وسطه ساعة ...وتدور الساعات... ألم يجدوا ديكورا أبعد عن القلب؟؟؟

الساعة الثانية عشرة ليلاً، ظل العجوز الوله، يتحدث بشغف مراهق عن تجاربه ومشاريعه..قدّم لها الإغراء تلو الإغراء، فما كان من الغزالة المتعبة إلا أن تستلم لأسد عجوز سيقضم عظامها الغضة كلوز مقلي... هي اعتادت على وظيفة الممرضة..لكن بيع المتعة كان يتعب قلبها...مع الوقت تعودت على مهنة تعيش منها هي وأمها.

الثامنة صباحا، انتهى كل شيء، لحظات تقلب إنسانا. في ليلة يمكن لوردة شراء سيارة فاخرة، تقول في نفسها:

- لو درست ، و اشتغلت عشرين سنة، ما حصلت على ربع ما لديّ.

نعم كان لديها المال والسيارة والبيت الجميل، ولم تكن تنام كبقية الناس. وسادتها تظل باردة كقطعة جليد...وسريرها لا يغمره دفء فتاة في عمرها.

تقض مضجعها صورة أب، لم يكن ليرضى ابنة تحترف المتعة والانتظار. بل تحترف الحزن والانكسار...

مرة التقت إحدى صديقات الدراسة(سامية)، كانت تجر خلفها صبيين ، وتحمل في ظهرها آخر ابن سنتين،تأملت المنظر من نافدة سيارتها الجديدة، تأملت المنظر بإشفاق غني، وقفت للصديقة القديمة، وسلمت عليها، تذكراتا كل شيء، أيام الإعدادية، وتبادلهما الفساتين و التّنورات، وقصص الحب العابر... اقترحت عليها (توصيلة)، فوافقت (سلمى) فورا، يا له من كرم !

سألت وردة ، مستغربة :

- تبارك الله ... سهل عليك الله أوردية ... هي شي زواج هو هداك.؟؟؟

فقاطعتها وردة ضاحكة :

- الزواج ...ههه ههه ...أولاً، سميتي وردة .

قالت سلمى:

- أنت بعدا درتي شي حاجة ...أمّا أنا غرقت بالأولاد ...بلا فايدة ...

ظلت وردة تفكر في حالة شرود ، كلاعب لا يعرف مكان المرمى، فردت وردة على سلمى :

- واش نزلك هنا ؟

ردت سلمى مستغربة:

- إيه أختي... صافي . الله يرحم الوالدين.

آلمها فقر صديقتها، وآلمها أكثر ما تفعله بنفسها، تعيش حياة الأمراء، لكن الفرحة تهرب منها.

" إثنان لا يشبعان : طالبُ علمٍ وطالب مالٍ ."

علي بن أبي طالب رضي الله عنه

1 نرجس

هل كانت نرجس ستحب رجلا سبق له الزواج؟ وزيادة على ذلك معه ولدان؟ و لا تعرف عنه الكثير..
لكن نرجس، تجاهلت كل هذا. كانت الأسئلة موضوع تفكيرها، هي ذاتها. كانت دائمة التفكير، من هي؟ كيف تحولت من امرأة تعيش الحياة طولا و عرضا، إلى امرأة ارستقراطية المظهر فقيرة الإحساس، كل شيء بحوزتها، إلا الراحة.كل شيء مزخرف أمام عينيها، لكن بلا معنى.
كانت بحاجة إلى معجزة لكي تعيش في هذا المستوى. لولا الأقدار التي جاءت بها إلى هذا القصر
الفسيح، لقاؤها بمصطفى كان محض قدر، هو كان يأتي إلى الحانة حيث اشتغلت لسنوات، كان يأتي حطام رجل. و مهمة عاملة الحانة معروفة، جعل الزبون مرتاح، وقادر على استهلاك قنينات أكثر. لكن، هو كان يريد استهلاك حنانها، وكانت تمنحه اهتمامه كأم رؤوم...
كل مرّة كان يأتي عندها يعود رجلا حقيقيا... لا حطام رجل، تمنحه الكلام، كلامها يخترقه،يحترق به، يريحه، يذكّره بكل شيء جميل، شهرزاد أنقدت نفسها و بنات جنسها بالكلام. وها هي نرجس تتسلق ظهر رجل أحبها لتصبح سيدة مجتمع، بعد أن كانت ما كانت...

كانت صورة المرأة قد اهتزت في عقل مصطفى و لا وعيه، رأى الخيانة في كل امرأة، كان زواجه في الحقيقة مصلحة أكثر منه زواج حبّ ... أب زوجته كان

شريكه، و لضمان وفائه أجبره على الزواج بها ... زواج إجباري يشبه إقامة إجبارية... تبدو مريحة، لكنها عذاب حقيقي.

ربما كانت تحب غيره، لكنها أحبت جيبه، وهو أدرك متأخراً، بعد ولادة طفليهما، أنه مخدوع... مع طفيلن، يستحيل التراجع إلى الخلف، يستحيل استدراك خيانة زوجية.

وجدهما في غرفة نومه، و على سريره، هل كان صديقها في الدراسة؟ هل أحبها؟ وأحبته طيلة السنين الماضية ؟ هل فضّلت شابا عشرينيا في مثل سنها على أربعيني مثله؟ و ماذا بعد ؟؟؟

انتهى كل شيء... فرّ من البيت وترك الباب مفتوحا... توجه لأقرب حانة، و هناك قرر أن ينسى ما مضى...

وجد مصطفى نفسه أمام نرجس، وجد فيها الأنثى...ومنذ يوم الخيانة انتهت زوجته الأولى من وجوده.

طلاقهما تم سريعا. و لأن الخيانة كانت باعتراف الزوجة، أقرّ القضاء لمصطفى رعاية الطفلين.كيف لأم تخون أب ابنائها أن تربيهم على الأخلاق؟

كان ابناه يسألان عن أمهما، وكان جوابه أنها ماتت، وحتى يقنع عقليهما الصغيرين، صنع لها قبرا في مدافن العائلة، وكان الولدان يزورانه كل يوم...في الحقيقة قبرها كان أجمل شيء فيها... إنه الطهر...أما هي ...

رأى مصطفى في نرجس صورة زوجةٍ مُستقبليةٍ ، بعد أشهر من تردده عليها عرض عليها الزواج، فجأة صدمت نرجس بقرار رجل منهك، كأنه خرج من حرب للتوّ ؟ لكنها ما لبثت أن أصبحت جزءاً من حياته، عرّفها كل شيء عنه،

وبعد أن توقف طيلة سنة عن أعماله في قطاع البناء بفعل الأزمة التي ألمت به، دفعته نرجس إلى استرسال العمل، فضاعف الجهد، واستدرك في أشهر مشاريع سنة مضت فارغة، صحيح أنها اعتزلت تقديم الخمر في الحانة، لكنها ما تزال تحترف تقديم الحنان لزوج بقلب مطعون.

هي مدينة له بانتشالها من وحل الفقر والعوز والمهانة، إلى قمم الرفاهية والترف و العز. و هو مدين لها بحب وحنان غامرين، افتقدهما في زوجة أحبها، فأحبت غيره. و تركت له جروح غائرة في قلب وفى فغُدر ، كما تركت وراءها طفلين يحلمان بأم بطهر ملاك.

أحسَّ كثيرا أنه بدون مال كان سيكون أسعد، لكن هل جرب الفقر يوما؟ حتى يقول كلاماً كهذا. هل نام جائعا يوماً؟ هل عرف أن امرؤا بلا مال كذئب بلا أسنان، صحيح أن المال ستر، لكن الخوف كل الخوف أن لا يسترَ الأجساد فحسب، بل أن يستر العقول و الأرواح. و الأسوأ أن يتكلم المال فقط ويصمت الصدق.

والجميل يجذب الجميل، إن شئت فاقرأ:

(**الطيبات للطيبين)** 26 .النّور

مولانا جلال الدين الرومي

2 نوّارة

أحداث الحادي عشر شتنبر 2001 خلقت مشكلة ليس فقط في أمريكا، بل راج في العالم خبر شاع كنارٍ في تبنٍ، كل من يخرج عن الشريعة الإسلامية سيعاقب وفقاً للحدود... خبر شاع وأخاف السلطات، حتى أن النقاش ظل مفتوحا عن الذين يقفون خلف هذه الشائعات، وزادت أخبار الجرائد و التلفزة من حدة الشائعات، فالطالبان باتت منظمة تهدد العالم وفق الرواية الأمريكية، عدو العالم صار محدد في الطالبان، فقد اختصر الإعلام الأمريكي صورة العدو في جلباب ولحية، و لربّما أحس البعض بالشماتة في ما حصل لأمريكا، غير أن العالم العربي ما لبث أن بدأ في عد عكسي جديد، في ضفة أخرى كانت
تصريحات الطالبان تشعر العالم أن إسلاما سيولد من جديد على أيدي فاتحين جدد، لكن الحقيقة التي أدركها الجميع متأخرين هي أن العالم العربي مقبل على تغيير في خارطته، بدأته أمريكا بجولة عسكرية في الحرب على العراق، والتي صاغت خليجا عربيا جديدا وفق المقاييس الأمريكية.

يبدو أن تكهنات المحللين كانت راجحةً، فالعالم منذ 2001 بدأ يعيش على رهاب من شيء أسماه طهاة السياسة الأمريكية (الإرهاب)، كانت نوّارة تستمع بإمعان إلى القنوات الإخبارية الأمريكية و العربية، و هي ترى ما فعله هؤلاء المخربون بأقوى دولة في العالم، كانت خائفة،

مرعوبة، فعملها مهدد بالكساد، خاصة في مدينة سياحية كمراكش، عملها المرتبط بالسياحة توقفْ، وتوقفُ السياح عن القدوم إلى هنا يعني... بطالتها.

كانت تطيل الجلوس مع صديقاتها أمام التلفزة،

و يبكين لساعات، من يكون هؤلاء المخربين ومن تكون هذه (القاعدة) التي تريد رسم صورة أخرى لعالمنا؟ وتتوعد الخارجين عن الشريعة ب(القصاص)؟

و الأمريكان كانوا مبدعين في صنع الخبر كعادتهم في هوليود، حيث ربطوا كل ما حدث ويحدث بالإسلام، ولم ينتبهوا إلى معنى هذه اللفظة، التسليم و السلام ...لكن من يعرف حقيقة ما حدث ؟؟؟

سؤال يائس كهذا كان أكبر من عقل نوّارة المليء بالأسئلة، لكنها كانت بحاجة للعمل كي تعيش.

كانت من خوفها تتابع خطابات بوش الابن ـ تريد أن تعرف إلى أين يسير العالم ـ ، قناة الجزيرة أسعفتها في فهم أنجليزية بوش المرتبكة، بسبب الأحدث، و لو أن المترجم لا يحتمل بصوته العميق، كأنه يتحدث في دلو وليس أمام ميكروفون...

هي لم تألف الاستماع إلى الأخبار، لكن أحداث 2001 جعلتها تتحول إلى مدمنة على جمع الأخبار، حتى حرب الخليج لم تهمها، بالرغم من أن المغرب أعلن أيام عطلة تضامناً أو خوفا من نتائج الحرب الأمريكية الدولية على العراق. يا له من عالم صغير!!!

مر أسبوعاً عصيباً من شهر شتنبر 2001، نزلت إلى كليز، متجهة إلى الفندق حيث تعمل. لكن دون جدوى فلا

أحد هناك، السائحون غابوا كشمس الشتاء...عادت أدراجها إلى البيت دون مصروف يكفي لغاية نهاية الأسبوع.

اضطرت إلى السلف من صديقاتها، غير أن السلف لا يترك لك صديقا، ابتعلت مشكلاتها بصعوبة، وعادت من جديد إلى ناصية الشارع...كان آخر خيار أمام مفلسة تبحث عن فرصة حياة...

كان حدثاً غريباً أن تصادف شابا يستقل سيارته في العاشرة مساءاً، هل هي يد إلهية امتدت إليها لترحم ما تبقى من إنسانيتها، بعد أن تم تسريحها من الفندق هي ومئات العاملين مثلها؟ رأته كفارس أحلام العذارى الذي أتى دون إنذار مسبق ...مِنْ لا مكان، ليطير بها إلى حيث الأمان.

توقف وترجل من سيارته ليسألها:

- السلام عليكم ، يمكن لي نسولك أختي ، هذا البلاصة راها خطر شنو وقفك هنا؟

أجابته بعيون ملتصقة في الأرض كمن ارتكب جريمة.

طلب منها أن ترافقه ليقلها إلى مكان آمن.

قالت في نفسها:

- لن يكون هذا الشخص إلا ملاكا بعثه الله في هذه اللحظات القاسية أو شيطاناً سيتغذى على عذريتي الليلة.

تنهدت بعمق، و قالت في نفسها وهي تحملق في وجه هذا الرجل الغريب :

- رباه ! هل ما زال في العالم أناس يملكون قلوبا؟

لاحظ عليها علامات التعب والهلع والجوع، فاقترح عليها تناول شيء، فقبلت. أشبع جوعها بقطعة بيتزا ساخنة قرب محطة القطار، لكنه ترك جوعا يعصر دماغها، ترى

ماذا يريد؟ماذا يريد هذا الرجل الذي جاء في لحظة انغلقت فيها أمامي أبواب الدنيا؟

طال تجوالهما في السيارة لساعة إضافية، دام الصمت بينهما دهراً، إلى أن انتصف الليل، فاضطرت أن تسأله، بجرأة طفلة:

- أرجوك، ماذا تريد مني؟

لم يجب ،انحبس صوته لدقائق، حتى هو لم يدر ما الذي أوقفه لها؟ أو ما الذي جاء بها إليها، ولماذا هي بالضبط؟

وفي هذه الليلة التي خرج يبحث فيها عن حل لأمه...دام الصمت طيلة المسافة بين وسط مراكش وبيته، على مبعدة من مراكش المنارة. كاد ظنها، بل شكها يقتلها، إلى أن تفاجأت عند مدخل البيت بامرأة في الثمانين، تنتظر وحيدة وسط بيت واسع عريض، حينها انفرجت غيوم الشك التي ظللت على تفكيرها لساعات .

قالت في نفسها:

- وأخيرا لسنا وحدنا !

أنسيت وجود الله معهما؟؟؟

طلب منها أن تنقل أمه المقعدة إلى غرفتها وأن تبيت معها الليلة. دخلت الغرفة بحذر مع العجوز، ونامت بقربها. لأول مرة تحس بالأمان، لأول مرة تحس بصدر أم حقيقي، فبعد قصة طردها من الملجأ وعملها كنادلة في مقهى فندق، لم تعد تحس بالأمان. لكأنّ الزمان أختصر في ساعات...

ترى أي حسنة هذه التي فعلت حتى أجازى بهذا الشكل الجميل، كنت بحاجة إلى جدار أختفي خلفه حتى الصباح، و ها أنا ذا في بيت و في حضن أمٍّ، وفي كنف رجل لا

أعرفه، ما الذي أفعله هنا ...هل جننت؟؟؟ لكنني ارتحت إليه. يا لهذي الحياة!

" ليس في العالم وسادة أنعم من حضن الأم. "

شكسبير

2 ياسمين

هناك بين جبال تطاول السماء ثلوج تكسو المكان بياضا، كانت أمي تعيش و ما تزال.

كنا خمسة إخوة، ثلاثة صبيان وصبيتين، كنت الكبرى بينهم، درست إلى السنة الخامسة ابتدائي، كنت نبيهة بين تلاميذ قسمي، حتى أنني كنت أنوب عن المعلمة إذا تأخرت فأسجل الغياب، وأبدأ بتنظيم دفاتر التلاميذ...هناك بين الجبال العالية المتشحة بياضاً، يصعب على المرء أن يجد متسعا للراحة، و أحرى لفتاة أن تجد وقتاً لتذهب إلى المدرسة... رغم ذلك جاهدت لأظل في القسم حتى الخامسة ابتدائي... لقد كان عليّ أن أضحي بكل شيء من أجل إخوتي، فأن تكون الأكبر هنا ،يعني تحمل المسؤولية بعد الأم والأب.

و بالفعل ضحيت بمقعدي الدراسي لصالح إخوتي الصغار... رغم أن هذا الحدث كسّر قلبي، غير أن أمي ظلت مصدر فخري، كنت أرى فيها شموخ الجبال التي تحيطنا، لربما تعلمت من الجبال أن تظل منتصبة الظهر حتى في المحن، هنا المرأة تولد رجلا لتتحمل أسرة بكاملها ، والرجال يولدون هنا ليبنوا مدناً أخرَ هناك... هناك يحملون عبء كل شيء . وهنا وسط الجبال النساء يعملن فقط ... يعملن ...و يعملن بجد أيضا.لتستمرّ الحياه.

كنت دائما أتساءل :

- هل من حقي الاعتراض، لماذا أنا هنا؟

لكن حظي من القرآن الذي حفظته منذ القسم الخامس لا زال صداه في ذاكرتي... لقد كان شيء ما يدعوني إلى الرضا... فليس للإنسان إلا ما سعي وسعيه سوف يرى...كان هذا الصوت يطمئنني...يريحني من عناء تفلسف لست كفؤة له.

كنت أرى والدتي في شقاء دائم، لم أكن أستطيع لها شيئا... فساعدي النحيلين لم يقويا آنذاك على حمل كومة حطب يزيد وزنها عن 10 كيلوغرام بقليل.

جمع الحطب كان عذابا نعايشه و نحن أطفال لكنه كان لعبة إخوتي الصغار، كما أن سقي الماء على الحمار كان متعتي وأختي الصغرى، لطالما لعبنا في الساقية القريبة من العين على مبعدة من بيتنا بكيلومترين...كنا نلهو كفراشتين.

لم نكن نهتم كثيرا بالطعام، نتغذى من الأرض وما تنتجه كان قليلا وكان جميلاً شعير و زيتون، و نادرا ما كنا نذبح دجاجةً أو أرنباً برياً لنحضى بفرصة شم رائحة اللحم و لو لم يكن أحمراً ...كان يكفينا اللحم الأبيض...وفرصتنا الوحيدة لنحضى بلحوم حمراء كانت في العيد الكبير، والدتي كانت تجتهد في تسمين عنزة أو جدي كي لا تفوت إخوتي الصغار فرصة
الفرحة الكبرى بالعيد... لقد كنا فعلا سعداء رغم ضيق الحال.

كان اللحم ترفاً لم يخلق لنا، وفي الأعراس كنا نحضى بفرصة رؤيته والتمتع برائحته مع قطع المشمش المعسل ...إممم...ياله من طعم! ! !

كما كنا نحتفل بالوليد الجديد بذبح خروف، والغريب أن الميت يحضى بنفس الإيقاع الاحتفالي، و إن كانت الزغاريد تسمع في الموت هنا، فهذه إشارة إلى كون الميت أعزب، يقال هنا أن العزب و العز باء سيكونان عرسانا في الجنة ...

كانت بشرة أمي شابة دائما. أمي لا تشيخ، ماكياجها الأساس كان زيت الزيتون (زيت العود)، وشعرها الكستنائي البرّاق يحافظ على نعومته بفضل الحناء التي تواظب عليها كل أسبوع.

يا لها من امرأة جميلة! لولا تجاعيد رسمها الزمن خطوطا تختصر سني عذاب...

كم تساءلت: لو ترشحت أمّي لمسابقة ملكة جمال في صباها؟ لكنا أغنياء الآن ...أو لكُنّا غير موجودين ؟

لكن جمالها بين يدي هذه الجبال، لم يمنحها إلا فرصة زواج، توج بوفاة الزوج سريعاً، وكأن الدنيا بخلت عليها بسعادة ولو مؤقتة... لكأنها فرضت عليها حربا بلا هدنة.

هنا تقضي التقاليد بزواج الطفلة ما أن تظهر عليها بوادر الأنوثة، ما أن تبرز الشرنقة فراشة حتى تنتهي في بيت زوج لا تعرفه، وإن كانت محظوظة فسيكون العريس ابن عمها أو ابن خالتها. و تكاليف الزواج حسبما روت أمي، كانت عربون وفاء لا غير، سكر وزيت و خاتم فضة. و ثياب بيضاء هي أجمل ما في القصة .

ما أن مرت أربع سنوات حتى وجدت أمي نفسها محاطة بأربعة أطفال، والخامس سيطرق الأبواب قريبا..فتاة عشرينية تحولت بفعل عوامل الزمن إلى أربعينية، تعاني

آلام الظهر و ترهلات في كل أنحاء الجسم، وتعب ممتد يظهر على الجبين، قصةً تختصر ماضي بعيد لقبائل هذه الجبال...

آآه يا أمي. كم اشتقت إلى صدرك الناعم؟ كم اشتقت أن أشم رائحة العطر الذي يتوجك ملكة على قلبي؟

تراك ما تزالين تذكرين شكلي؟

عشر سنوات مضت دون أن أدري. وأنا هنا وأنت هناك. تراك ما زلت حية؟

العنوان الذي أرسل عليه ما تيسر، يقول لي أنك ما زلت حية ترزقين، بدليل أن إرسالياتي لا تعود...أرجو أن تكون إرسالياتي المالية تعوض عن غيابي ...أنا لا أهمّ... المهم أنت. لا تتعبي مجدّدا ، يكفي ما ضاع من سنين.

أماه! يا معلمتي ...دندناتك ونوطات صوتك العذب خلقت بداخلي مشروع مطربة محترفة...وها أن الآن أغني ...كلماتي فيض من حزنك ...والطرب حزن على كل حال.كم أتمنى أن أحضنك قريبا...أن لا أنساك.كل يوم أتذكرك وأنا أدندن مع فيروز:

دخيلك يا إمي ما ادري شو بيني
اتركيني بهمي زهقانه الدني
باذكر من سنه واكثر من سنه
شفتو تحت اللوزه بها الفي الهني
وما بعرف عطاني يمكن سوسنه
ومن يوما يا امي ما ادري شو بيني
ما ادري شو بيني
كلمة حكيها وراح من دربي
و رجعت وحدي وما رجع قلبي

ريتها حكايه بكتب زرقا
من حلوايه تشكو الفرقه
قصتها بكتني أخذتني بدني
ومن يومها يا امي ما ادري شو بيني
يااه !!!

كلمات فيروز الأثيرة صديقة روحي، هي مدرستي الثانية بعد صوتك العذب كعيون إيفران الكريمة دوما. أحن إلى صدرك ...
ينقصني دفء يديك في هذه البلاد الباردة من المشاعر.

الجواهري

نسب بيننا الهوى   احفظي حرمة النسب

الجواهري

4 وردة

لم تكن وردة قادرة على الاحتفاظ بذكرى رجل. كل الرجال في عينيها سواء. ذلك الشبق هاجسهم. وهي كانت تعرف أصول الحرفة.السرير...الأضواء...وتلك الفساتين المكشوفة الكتفين...هي أحلام كل الذين التقتهم...يا لهم من مرضى! ! !

تقول : "بعض زبائني أطباء نفسانيين.كلهم عجزوا عن حل مشكلات السرير. لكنهم وجدوا الحل لدي. أنا التي لم أطأ باب مدرسة".

يا لها من غرابة!!!

أن تستثمر في أغلى شيء لديك. جسدك. كان طيش مراهقة تهوى المغامرات العاطفية، لكنها تحولت إلى حرفة تذر الملايين...نادمة!... لا أدري. لكن الذي

أدريه جيداً، هو أنني أحسد أي امرأة تعيش في ظل زوج...أما أنا فلا ظل لي. أنا كشجرة بلا جذور. يا له من شيء جميل أن تعيش لذكرى إنسان، هو في حد ذاته حدث أن تكون لإنسان ويكون لك. أما أنا فملك للجميع. و لست ملكا لأحد.

تقول وردة في نفسها ، "بعد كل حصة تدليك لزبائن تهفهم عليها الرغبة: يالهم من أغبياء ، يتركون زوجاتهم ويأتون إلي! من أجل ماذا؟ كل هذا من أجل لحظات تافهة، لا وفاء و لا ذكرى فيها.كل شيء فيها مزيف. هم يريدون إطفاء نيران الرغبة، كما تفرغ الشحنات الكهربائية السالبة في الأرض. طاقة ضائعة بلا جدوى.

بعضهم كان يقضي ليلته في البكاء والشكوى بين يدي.كثيرا ما تحول دوري من مدلكة إلى طبيبة نفسانية، تعلمت مع الوقت أن حاجات الزبائن، ليست
إفراغ ما بجعبتهم من شهوة، حاجاتهم كانت تتلخص كثيرا، في البحث عن لحظة حنان.كانوا كالأطفال بين يدي.

كأنهم بحاجة إلى لحظة صدق. هي أكبر لحظة صدق.حين ينتزعون كل قناع.كل شعر مستعار. كل رتوش. لقد كانوا يشعرون بأنهم يولدون من جديد، وفي الصباح يغادرون وكأنهم شباب. مع أن أصغر واحد بينهم يتجاوز الخمسين بكثير. الشباب لهم وجهات أخرى ارخص(تبتسم...)."

كان ألمها يتضاعف وهي تراكم أموالاً، لا تعرف أين ستصرفها. جزء كبير من ما كانت تحصله يذهب لأمها. لم تكن أمها بحاجة إلى المال حاجتها إلى زيارة وردة. لكنها كانت بخيلة. فوردة لا تجالس أمها إلا نادرا. كل وقتها شغل أو نوم.

لعبتها كانت واضحة.

هي تعرف كيف تخلص زبائنها من عذاباتهم. في لحظات ترى الأسد الثائر قد استحال خائر القوى، كأنه فقد ركبه. أغلب الزبائن كانوا يستسلمون قبل الوصول إلى لحظة الحسم. فيسقطون ضحية هيجان غير متوقع...فجأةً ينتهي كل شيء ... لكنهم يتسرعون، لكأني بهم يصدقون الجواهري حين يقول :

ينقض عجلان فيفلت صيده ويصيبه لو أحسن الإبطاء

ما كان ينقصها فعلاً، قلب.

قلب يعطيها أمان رجل حقيقي يريدها لها لا له.

كانت تريد هوىً تنسب إليه...لكنها في دنيا الهوى مجهولة. لا اسم و لا عنوان.

ليتها كانت ممرضة حقيقية، في مستشفى مكتض بالعمي والصم فتعالجهم، لكانت إذن ملاك رحمة. لكنها اختارت أن تكون ممرضة بوجه مستعار. ممرضة عواطف، مهمتها دغدغة مشاعر العابرين.

من أجل عينيك ...

Quand je t'aime
J'ai l'impression d'être un roi
Un chevalier d'autre fois
Le seul homme sur la Terre

Denis rousou

1 نرجس

...عندما أحبك أحس أني ملك. أحس أنني فارس من زمن مضى.

كلماته الباذخة كانت تسحرها. و هو كان باذخا في إظهار حبه لها. وهي كانت دائمة الشك في أن هذه المشاعر حقيقة لا خيال...أنها لها وحدها. وليس لتلك التي نامت قربه أولا. .. وتركت له طفلين ، ثمرة حب لم ينعشه المال بما يكفي من الأكسجين كي يعيش طويلا ...كانت تقول :

- " ترى هل اشتراني بماله؟ هل حبه لي تعويض عن ما فاته من حياة مضت؟ أم هو انتقام من تلك التي أحبها وخانت ذكراه بلا رحمة؟ ماتت في عينه يوم ذاك. و هو، مات قلبه عندما احتل قلب امرأته آخر وهو على قيد الوجود".

بذخ مشاعره نقلها من رداءة حياتها الماضية، وأوصلها بحبه إلى النجوم.

هي الآن زوجة برتبة عشيقة. ياله من إحساس أن تكون الزوجة عشيقة، ثم تحصل على اللقب! هي حصلت على لقب زوجة، لكن مع تحديد الصلاحيات(لا أطفال. لا ماضي.).

يا لها من معادلة صعبة!

عليها مقابل ترف مبالغ فيه وأسفار لا تتوقف، أن تنسى من أين جاءت، ومن تكون. ببساطة عليها أن تضع قناع

زوجته الأولى، هو يريدها كما يريد. لكن هل سألها ماذا تريد؟ربما اعتبرها ملهوفة على حياة لم تكن تحلم بها. الآن هي مصدر أمانه واطمئنانه ولا داعي لتعكير الجو الرومانسي الذي يحسن إحياءه،كل مساءاً ورديا.

كان رجلاً معها في كل شيء، المال لم يكن ينقصها. و لا عواطفه الجياشة كوادً فاض بعد مواسم جفاف طويلة. لكن نوبات الصداع التي تطارده بعد تلك الخيانة توقظه كل ليلة من نوم هانئ... هي أيضا لم تنم مذ زواجها ساعات ليلها مسترسلة كما ألفتْ...تستيقظ دوما على صياحه كالملسوع. خائنة ...كيف تجرأت؟؟؟

ثم يدخل في نوبة بكاء تستمر حتى ظهور أولى خيوط الصباح... لتتحول نرجس إلى أم رؤوم، تغدق عليه من حنانها... هي، لم تكن تجد وقتاً للأحلام ، حتى أنها نسيت ماضيها. فلا ماضي لها يستحق أن تتذكره...إلا أنها في مراهقتها تذكر حادث طردها من ملجأ الأيتام حيث كانت تقيم، لتجد نفسها في الشارع بلا حامٍ،لا شهادات ،لا تكوين، إذن لا عمل ولا حياة.

لم تجد إلا عملا في حانة ليلية ...بدأت في غسل أواني السكارى،لكنها ما لبثت أن تحولت إلى ساقية. في الثامنة عشرة العيون تطمع كثيرا في امرأة، هذا ما رآه فيها العجوز مالك الحانة، ما يهمه جلب أكبر عدد من الزبائن، ولا يهمه كيف؟ شكلها الجميل كان مؤهلها الوحيد... لذلك لم ترفض العرضْ، ومن يرفض عرضاً بأجر ثلاثة موظفين،إلا أحمق؟ هذا ما رددته حينها... والمخمورون كانوا يبحثون في جغرافيا وجهها الطفولي عن براءة فقدوها في سني العمر الطويل...الصبا والجمال يجعلهم يبكون.

كانت تقول: كم سهل إبكاء مخمور؟ وكم من الصعب زرع بسمة على وجهه؟ ولحد الآن لم تعرف لِمَ يبكون؟ هل يبكون حظوظهم العاثرة وهم أصحاب ملايين و مناصب؟ أم يبكون حياة تنسل من بين أيديهم كرمال صحراء ناعمة، تأخذها الرياح في

كل اتجاه؟...كانت أسئلتها كثيرة...وكثيراً ما سمعت الأغاني من أفواه المعجبين، لقد كانوا يرددون أغاني الحب،وكان قد علق في ذهنها البيت الشهير:

قل للمليحة في الخمار الأسود   ماذا فعلت براهب متعبد

ولم تنسى يوما أغنية السِّتْ التي يرددها كل السكارى:

هل رأى الحب سكارى مثلنا

ومشينا في طريق مقمر

تثب الفرحة فيه قبلنا...

لكنها فرحة محدودة كعمر فراشة..للأسف!

سنتان كانتا كافيتين لتقلب حياة نرجس، من نادلة مهمتها ملأ الكؤوس، إلى رفيقة درب رجل مهم، مصطفى رأى فيها ما لم يره كل السكارى. وكان الزواج.

الحياة تمنحنا أحيانا تعويضات مادية، عن مطباتها الكثيرة..لكن من يمنحنا طفولة ضائعة... من يمنحنا فرحة الأعياد... كانت تردد...

لعمري ، لئن قلت إليك رسائلي لأنت الذي نفسي عليه تذوب
فلا تحسبوا أني تبدلت غيركم ولا أن قلبي من هواك يتوب

ابن زيدون

2 نوارة

في أحد الأيام كانت نوارة ترتب البيت ، وجدت أوراقا قديمة، قرأتها بإمعان، دون رغبة في التفتيش، ولكن خوفا من رمي أوراق مهمة... وجدت مفاجأة لم تعرف من أي كوكب هبطت... عقود ميلاد السيدة الغالية، امرأة جزائرية المولد، عقد زواج مؤرخ في الأربعينات في عنابة، و صور عائلية قديمة ...شهادة ميلاد الطفل الوحيد عبد الغني فرحات من زوجها المغربي الغربي فرحات، تتالت الأوراق، وهاهي عينها تسقط على ورقة أبكت عيونها المتسمرة، بلاغ تهجير الأسر المغربية من التراب الجزائري سنة 1975. فهمت كل شيء...رغم هول ما عرفت لم تخبر أحداً ،

فهمت أسباب مرض السيدة الغالية التي فقدت كل ما يربطها من اتصال بماضي جزائري يعود إلى السبعينات، أربعة وثلاثون سنة مضت، فقدت خلالها ذكرى زوج لا تملك إلا بضع صور له تعود بها إلى زهو الشباب...أحياناً... ومصطفى ذاكرتها المحفوظة بأمان في بلد يدينون له بالإحتضان... و إن لم يكن مسقط رأسه ورأسها ... فقد كان أصل أب لم تكتب له رؤيته.

كان عبد الغني شمس حياتها، لولاه،لكانت في الشوارع تنهش لحمها كلاب ضالة،

كم هن أولئك الفتيات اللائي يبعن أنفسهن كل ساعة من أجل لقمة؟ وكم هي تلك البراءات التي تغتال بلا توثيق؟

كانت تقول: مخطئة امرأة تمنح كل شيء لمن لا يستحق. هكذا فهمت بعد أن أخطأت مرارا...في التقدير، هي محظوظة وسط هذا العالم الذي يباع فيه
كل شيء حتى لحوم البشر، و هي لن تنسى فضله، هل بإمكان رجل في هذا العالم الشرقي الهوى والتفكير والموزع بين العقد و الحروب، أن يقبل بامرأة لا مأوى لها ولا أهل؟

كانت في ذهول دائم. يأخذها إلى دنى الحلم الجميل؛حيث يأتي الفرسان ليحملوا عرائسهم على أحصنة بيضاء، وهي تصلي كانت تردد:
أنت يار ب ستار وتحب الستر اللهم استره.

هي أحبته حتى ظلّه، حتى رائحته المميزة، تحفظها ...تحب فيه الإنسان الذي صنع منها إنسانا.كانت بحاجة إلى يد إلاهية لتخرجها من عمق الوحل حيث كانت، لم تتخيل يوماً أنها ستخرج من بحر لا فكاك من أمواجه السوداء، لكن يده، كانت أقوى. و حبه جاء في موعده.

عندما كانت تراجع مع حنة دروسها في مساءات الأيام الفائتة، كانت تتذكر طفولتها، لا ملامح واضحة لديها عن هذه المرحلة الحساسة من حياة الناس والطيور و الزهور، لا زهرة كما نعرف تعيش طويلا في الخلاء، فإما أن تقطفها أيدي لصوص الزهور العابرين، وإما أن تدوسها أقدام المارة غير الآبهين.

قالت لها المرأة التي ربتها : أنت ابنة امرأة من الريف، جاءت للبحث عن عمل في الدار البيضاء، لكنها ما عادت ، بقيتي عندي، أنا أمك.

عندما كانت تسمع كلمات مربيتها...كانت تغرق في بركة من الدموع، دوامة البكاء كانت تنقدها من التفكير في سؤال وجودها. زوجها كان يقول ليعزي قليها الموجوع : أنا ابوك. أنا أهلك. ...كان كلامه يضحكها ويبكيها. هل يعقل لمن لا يعرف أمه أن يملك أبا؟؟؟ خرافة .

حنّة الآن رهانها، هل يكون حسن حظ أنها لم تنجب؟ أم أن الأقدار لا تريد لعبد الغني الدنس بامرأة بلا أصل؟

تحبس الدمع بصعوبة، لكي تحافظ على ما تبقى من كرامتها الضائعة، وكي لا تلحظها حنّة الصغيرة.

وتواصل المراجعة .

في الحقيقة كانت نواره نفسها بحاجة إلى مراجعة، عبد الغني منذ زواجه منها، فضل الحديث في مواضيع محددة، تجارته، حنّة، لكنها لا تستطيع البوح أمامه بشيء... فقط الوقت ...هو الوقت ...كفيل بإيجاد أجوبة لأسئلتها.

ورغم تجاهله لمشاعر ماضيها، إلا أنه كان يعاشرها كزوج وفي، وهي لذلك كانت تقدّره، رغم كل شيء كان فارسها الوحيد في زمن مات فيه الفرسان ولم يبق سوى الأوغاد، لا رجال مثل عبد

الغني- كانت تقول، ليتني عرفته قبل أن...أستغفر الله ... لا أستطيع نسيان ماضي الأسود ...إنه يطاردني حتى وأنا معه...ابتعدي عني أيتها الظنون والمآسي المقرفة، فمن حقي أن أعيش، من حقي أن أولد من جديد. هو أهداني كل شيء، وأنا لن أعود إلى الوراء.

تقول:كنت دائما في حالة خوف... بل في رهاب حقيقي من فقدانه، دعواتي كانت دائما من أجله، أن يحفظه الله بمشيئته، أن يعود سالما من غيبته...أخاف أن يكون عبد

الغني حلما...كما أحلام طفولتي البائسة، عسى أن لا ينتهي حلمي.

أخاف من الأيام التي حرمت فيها طفولتي أن تسرق مني فرحة وليدة... لكنني أصبر نفسي حتى لا أجزع... أو أفقد صوابي أمامه، فيظهر مني ما لا أريد، قلقي من نهاية هذا الحب/ الحلم.

" الحياة بلا موسيقى خطأ فادح."

نيتشه

3 ياسمين

...غريب هذا العالم؟ نولد في مكان، ونطير إلى أمكنة أخرى لا تضاهينا.
هي الآن تَطرب وتُطرب، تُطرب بكلام ما اعتادت عليه لكنها اتقنته لدواعي المعيشة...
ألفاظها الأمازيغية الأثيرة، نسيتها.
مخارج حروفها المرهفة، نسيتها.
كما نسيت عادات الناس في إيفران.
حينما تسمع لصوتها الحزين يتغنى بروائع طلال مداح أ و محمد عبدو ، تعتقد أنها ولدت وتربت في صحارى الخليج، لكن ضيق العيش يعلمك أن تكون أشياء لا تريدها، هي الآن بقناع لا يماهيها،

إيقاع صوتي أكثر خشونة مما ألفته. وقناع صنعه مشغلها ... هو كان ومازال بحاجة إلى صوتها...أوبالأخرى على نبراتها. يريد فقط توقيعها الصوتي على كلمات تقولها بحنجرتها مرفوقة بالموسيقى.
ياه !تحولت إلى آلة لإنتاج الأصوات!!! أهذا أنا ؟
كثيرا ما استغربَتْ هذه الوظيفة التي خاطتها لها الأيام السوداء التي عاشتها، أن تغني، يعني أن تطهر نفسك، ويطهر من يسمعك نفسه، لكن هي ما أحست بالطهر يوماً، منذ وطأت أقدامها دبي، تعيش كعبد، عليها العمل فقط، لا سؤال. لا أوراق ثبوتية. فقط حياة مترفة شكل فارغ من أي مضمون.

هي على كل حال كانت ترى نفسها أحسن بكثير من بنات جلدتها، بائعات العشق أقل ما يقال عنهن أنهن دمى يحركها الكفلاء كيفما يشاؤون ولكل سلعة ثمن. أما عاملات تنظيف البيوت فيعاملن كحثالة، بعض
النساء الخليجيات يعتقدن أنهن ملكات زمانهن فيقمن بتعذيب الخادمات بالنار كما في العصور الغابرة...النساء هنا مهووسات بالموضة والمكياج والموسيقى... الموسيقى فقط ...أنيسهم الوحيد في السيارات الرباعية الدفع، الموسيقى ملأ فراغ... نسين أنها تطهير روح قبلا...لكن الأهم عندهن ... الاحتفاظ بأزواجهن...

تقول ياسمين:

- رعب ما بعده رعب كنت أشعر به إذا جاملني أحد المعجبين في حضور زوجته، كنت أقول مع نفسي (قد أعود إلى المغرب -يوما ما - مشوهة، ليتني كنت قبيحة الوجه مكسورة الخصر، حتى لا أنال أي إطراء. عيونهن كانت تأكلني وأنا في فستان السهرة... لولا أن الفندق يشترط الظهور بمظهر لافت للبست جلبابا مقطعا حتى أريح أدمغتهن التي تسكنها الغيرة والحقد. يا لهن من غيورات!!!

كنت أسلي نفسي بالقراءة ... تعلمت من بعض صديقاتي أن قراءة كتاب وسيلة للعلاج النفسي، كان يعجبني محفوظ في رواياته المشوقة، نجيب يجعلك تعيش عالمه ، شخصياته ما زالت تشغلني، تنثير مشاعري ، أرى فيها إنسانا ممزقا مثلي.

ياه !!!!كم هو صعب أن تضطر إلى العيش بوجهين، أنا هنا امرأة على مقاس خاص، أغني وأطرب، فقط. لا مكان لي أذهب إليه، من حقي كل شيء، إلا أن أكون ما أريد.

كل الشبان الذين إلتقيتهم كانوا يخافون مني، الوصي جعلني مقيدة بحراسة مشددة، حارسي الشخصي يمنع أيًّا كان من الاقتراب. في الأسواق حتى في محل الحلاقة يرافقني. لا مجال لأي حديث خاص.

أصبت بنكسات كثيرة...حتى أنني فكرت مرارا في الانتحار ، لولا أن تداركتني حسنات ربما فعلتها دون وعي مني... الحمد لله أنني مازلت حية!

أنا أشبه عصفورة مجبرة على الغناء، لكنني أعتقد أن أغنائي كان سيكون أفضل لو كنت حرَّة، أتمنى أن أخرج حافية القدمين، و أجري وسط دبي لأقول أنا ياسمين ...أنا حرَّة...لست ملكا لأحد .

لكن ... كان شيء ما يمنعني ...لكأن هذا الصوت مقتول في أحشائي...لا أستطيع أن أصرخ ، لأن أمي وإخوتي في انتظار مال إن انقطع زهقت أرواحهم تحت وطأة فقر يقتل ببرودة. يقتل في الإنسان إنسانيته...على الأقل أنا الآن أحيا...أنا هنا أحيا .. لكنني لا أعيش...كما أريد.

وحدها كلمات أم كلثوم تؤنسني في هذا الليل الطويل.تتصاعد مقدمة الأغنية بلحن مفرح، ينقلني الى دنيا ثانية...فأغفوا وأنا أردد:

نسيت النوم وأحلامه   نسيت لياليه وأيامه

بعيد عنك حياتي عذاب ما تبعدنيش بعيد عنك

فأدخل في نوبة بكاء، تتزامن مع تغير لحن الأغنية، و أواصل الغناء بلهفة عاشق التقى بمعشوقته :

غلبني الشوق وغلبني   وليل البعد دوبني
ومهما السهد سهرني   لاطول بعدك يغيرني
ولا الأيام بتبعدني بعيييد بعيد عنك

في نهاية الأغنية، أجدني قد نمت كطفلة، نالت ما يكفي من حنان أمٍّ، فأستيقظ لأحيا يوما جديدا في هذه المدينة التي لا ينقصها شيء، سوى المشاعر.

لا أحن إلى شيء
فلا أمس يمضي ، ولا الغد يأتي
ولا حاضري يتقدم أو يتراجع
لا شيء يحدث لي!
ليتني حجر – قلت – يا ليتني
حجر ما ليصقلني الماء
اخضر ، أصفر... أوضع في حجرة
مثل منحوتة ، أو تمارين في النحت...
أو مادة لانبثاق الضروري
من عبث اللاضروري...
ياليتني حجر
كي أحن إلى شيء[1]

[1] محمود درويش، مقتطف من ديوان (أثر الفراشه) .

4 وردة

سلعتي جسدي، كانت تتعبني الساعات التي أقضيها في العمل، و أي عمل؟؟؟

كما كانت تتعبني كذبتي الكبرى على أمي، أقرب الناس إلي... و كذبتي على نفسي قبلا أكبر...وعلى الناس.

أنا من المفروض مدلكة في مستشفى خاص، لا اشتغل إلا ليلا، يا لها من لعبة مغفلة، أنا فيها البطلة والضحية.

كثيرا ما تمنيت أن أتحول إلى حجارة، على الأقل سأكون صالحة لشيء ما، لبناء بيت، يقي الناس البرد والحر. أو قد يلهو طفل بي هنا أو هناك، ويفرح. أو ببساطة قد يحملني شخص، ليجرب إلى أي مدى قد يوصلني وسط البحر... لا يهم...لا شيء يهم في حياتي...

كانت تقول :

- كيف إذا علمت والدتي بما أقوم به؟؟؟ أخاف عليها. أفكر في اعتزال هذه القذارة، التي غرقت فيها لسنين...يالي من غبية، لكن ماذا سأعمل ... ماذا سأشتغل؟؟؟

كانت هذه الأسئلة تدور في مخها كذبابة صيف، لا تدعها تنام.

تقول:

- كان من الأفضل أن أعمل أي شيء إلا أن اقترب من هذه الرذالة. نيل مال ببيع الكرامة..حينما يكون الثمن

إنسانية المرء... الأمر يستحق مليون تفكير.كان شغلي بيع المتعة لمن يدفع أكثر، ولمن يدفع هناك كثيرات يقدمن كل شيء بأرخص ما يمكن ...لو كان الفقر رجلا لقتلته آلاف المرات...

كثيرا ما سألتها أمها :

- يا ابنتي، هاد الخدمة راها غتقتلك؟... كون غير شفتي شي خدمة بنهار .

كانت كلماتها سيوف تزرع في قلبها فتمزقه. ما كانت وردة تجيب، كانت تتمتم كملسوع:

- الله يدري ليا شي تاويل د الخير.وتواصل بينها وبين نفسها، وهي مثبتة العينين:
- ترى أي تأويل أريد؟ أأريد أن يحولني الله إلى راهبة مقدسة فأكفر عن ما مضى؟ أم أن حلمي يختصر في رجل ينقد ما تبقى مني أنا المبعثرة بين آلاف المعجبين المزيفين؟؟؟وهل يوجد رجل في هذ الشرق أو في هذا الغرب، سيغفر لامرأة بماضٍ كماضيَّ؟؟؟

في صباح ممطر على غفلة من شهر غشت وأيامه، مرضتْ كثيرا، فكرتْ في تقديم استقالتها من الفندق الذي تعمل فيه، أحسست بالموت يقدم لها مهلة لتكفير خطاياها،لكن مشغلها رفض طلب الاستقالة ببساطة، وقال :

- عندما تدخلين باب هذا الفندق، لا تحلمي بالخروج منه، دخول الحمام ماشي بحال خروجو .

لخص لها نهايتها ...الفندق أسرار، والشخصيات التي مرت بين يديها تهز أمن البلد و استقراره،لا يجب أن تغادر من

هنا، من نصيبها العذاب ومن نصيب هؤلاء أنها تقاسمهم عذاباتهم ، لتظفر بالمال والتعاسة!

تقول:

- فكرت في الهروب من المدينة، أوفي الهجرة خلسة من عيون مشغلي...لكن أمي كمثقال سفينة تجذبني للبقاء، كانت تشغل فكري، أكثر مما أفكر في ذاتي. لم أعد قادرة على الحياة على إيقاع هزائم يومية، جمع المال وتلقي الهدايا
- لم تعد هوايتي، تلك مراهقة مضى عليها زمن. حتى زياراتي لطبيب نفسي ووصفاته المهدئة كادت تقودني إلى الجنون.

المهدئات كانت تجعلني أنسى قليلا لكنها لم تنسني أوجاع الضمير.

ليتني كنت سلمى ...صديقة فقري، تلك التي فضلت زوجا وسقفا قصيرا لتعيش كما تريد لا كما يريد الآخرون. بأربعة أطفال كانت سلمى مثقلة بالطّهر، طهر حجر وسط البحر.

روحي جائعة لأي لحظة طُهْر. هربت من فقري، لكنني ما دريت أن الفقر الحقيقي هو أن تفقد طهرك. ثم لا تصبح إنسانا. تصبح لا شيء.

الآن أملك جسدي و المال، ولا روح. فكيف أسمو وأرفع هامتي وسط الناس؟ كيف أعيد الطهر إلى مفاصل روحي؟

أيها العمر... اعرني لحظة أعود فيها أنا.

أريد أن أعود إلي.

حياتي بعدك مستحيلة

وما الذي تخشاه لو أنهم   قالوا فلان قد غدا عبدكا؟

حافظ ابراهيم

حياتي مد وجزر.
كلما أعطتنا لحظات جميلة إلا وسلبت منا أشياء أهم.
تقول وهي تتذكر ماض ذهب:

- وأنا أملأ كؤوس السكارى، كانت عيوني خارج الحانة، كنت أسافر في صباي وقبلها في طفولتي المبكرة التي أذكرها جيدا، تبدو لي كفيلم قديم بدون صوت، ذكراها تجرح كل شعور لدي ...لربما هؤلاء السكارى ارحم من أسرة لم تمنحني دفء وطهر الحياة الإنسانية... هم منحوني أجرا أعيش به كسيدة...كإنسانة لا أحتاج أحداً. في الحقيقة كنت أبيع إنسانيتي

لكل من يشتري قنينة خمر. زبنائي كانوا مرهفين كثوب موسلين شديد البياض، كانوا كالأطفال، يقضون الليالي في البكاء بين يدي، كانوا يبدونلي فقراء رغم أموالهم،

كثيرا ما دبت معهم في نوبات بكاء ممزوج بأغنية من أغاني الوداع التي تعطر المكان بإيقاع يغري بالبقاء هنا.

هي البحر. حياتي قذفت لي مصطفى، زبون عادي، جاء ليبكي على صدري، شكى وبكى وعربد وسكت،...الرجال في نظري كلهم أطفال!!! أبي ...أذكره قاسيا كصحراء لا ماء ولا ظل فيها. أما مصطفاي فنبع حنان .

في حياتي الجديدة . اليوم وبعد سنوات من الزواج، تغير كل شيء. لا أدري كيف تحولت حياتي هذا التحول

المفاجئ، زواج وبيت وأسرة، مفاهيم تكاد تكون غريبة على امرأة مثلي، لم أكن يوما سلعة
لأحد،ولم أسمح بيد أن تلمس شعرة من رأسي، حدود المفروض في مهنة ساقية حانة، ملأ كؤوس خمر ...ليس غير...لم أتجاوز حدود المفروض، المفروض في عمل ساقية بالطبع، أسمع كل شيء، ولكن لا أقول كل شيء. ربما هذا ما دفع مصطفى إلى الارتباط بامرأة من طينتي...أتصورني ملاكاً غارقاً بأجنحته في وَحْل، ولم تسعفه جناحاه على التحليق بعيداً في الأعالي؟؟؟

هذا بالفعل ما أحسّه... **ملاك غارق؟**

و كانت يد مصطفى. طوق نجاتي بل كان نجاتي. في لحظات كثيرة أود البوح له بكل حياتي، ... ساعات كثيرة أكتب له. بالمناسبة هو من علمني الكتابة... هو أدخلني دنيا ما كنت أعرفها...هو جعلني إنسانة.

يا لبلاهة الظروف التي تجل منّـــا قطع إسفنج غارقين في اللاشيء.

بلا معرفة .كنت كعمياء وصمّاء.

لغتي كانت هذا الطين...جسدي و بالضبط وجهي. اليوم أتكلم لغات العالم، وأجول هذا العالم الذي ما حلمت به يوما، لكنني رغم ذلك أجدني مستغرقة في موجة هاته التحولات، هل يعاملني مصطفى على أساس أنني زوجته الأولى؟ هل نسيها؟ أم ينساها بي؟

حقيقة هو عوضني عن حرمان طفولتي، وها أنا اليوم أولد امرأة أخرى . كما لم أتصور.

حياتي بدونه مستحيلة.

لا أستطيع أن أتخيل وجود حياة بدونه.هو عطري، هو أنا ، لأنه هو من صنع من نرجس زهرة حقيقية، بعد أن كانت دمية عرض.

أنا الآن و بعد وقت طويل مع ابني زوجي غادة وسامي بدأت أشعر بصعوبة موقفي، أنا أعاملهم على أساس أنني أمهم ، وهم يظنوني كذلك..أحس أنني أغش طفولتهم... أغش مشاعرهم...أم تراني أعيش على حساب براءتهم؟؟؟

في كثير من اللحظات كنت أفتح الموضوع مع مصطفى، في مرة قلت له في سهر ليلية:

- مصطفى، أريد أن نتكلم في موضوع...
- نرجس.أرجوك أجلي كل شيء، خرجنا للمتعة، لا للنقاش...
- أرجوك مصطفى، لدي كلام مهم ...بخصوص...

ما كدت أكمل كلماتي حتى جاء النادل ليسلمنا لائحة الطلبات، كان مصطفى مستغرقا في البحث عن وجبة هذا العشاء ...وقال لي :

- ماذا ستأخذين؟؟؟
- طلبت طبق سمك مع المعجنات. و وسط أحاديث جانبية نسينا الموضوع .

كنا نقضي أوقاتاً سعيدة، سواء في خرجاتنا مع الأطفال أو نحن معا. كانت لحظات استثنائية .كثيرا ما اعتقدت أنني أحلم. أو أنني أطير ...حتى وصلت

خفت روحي أنني أصبحت أرى رؤى غريبة، علم من البياض، والأحصنة المجنحة تجرني في عربة مزينة بالورود، ومصطفى ينتظرني هناك. لا أدرى ما معنى هذه الرؤيا التي تتكرر لكل يوم.

هل هي الجنة التي أحلم بها؟
أهي هدايا إلاهية كتعويض رمزي عن سنوات طفولتي الضائعة؟أم هو الوهم الذي اخترعته حتى أعيش؟؟؟

كأن بلا د الله ما لم تكن بها وإن كان الناس فيها وحش بلا قع
أتصبر للبين المشتت مع الجوى أم أنت ناسي الحياة فجازع

بعد فراق قيس ولبنى ماتت لبنى بعد مدة

2 نوّارة

ثمة دائما أسئلة تعيش في عقلي كلقْلاقٍ موْسميٍّ، من أين جئت؟ وكيف تحولت فجأة إلى هذه التي أناَ؟

ليتني أشفى من ذاكرتي، ليت عبد الغني يمحو من ذاكرته يوما التقينا ذات مساء، فكان ما كان.

هل أنا زبونة لديه؟ بحكم أنني كنت محتاجة إليه؟ وكان هو السيد الذي امتدت يده وسط الظلام لتنتشلني من ذئاب لا ترحم.

عذابي معه كان أنه لا يسأل، لا يتكلم معي طويلا، كل ما هنالك أنه كان معجباً بي، لكن هل كان حبًّا؟ أم تعويضا؟ لا أدري ، اللهم أنني أحيا، أحيا ...كان هذا الصمت يقلق أعصابي...

كانت مفاجأة عبد الغني كبيرة أول ليلة نلتقي بعد زواجنا، هو أراده زواجاً، في حين كنت أعتقدُها فرصة. فرصة صائد أحسن العثور على عصفورة دون بدل جهد. لكن هو أرادني زوجة. لم يصدق أن تكون فتاة وجدها ليلا عذراء الأحاسيس. عذراء القلب. في ليلة عمره كان يرتعد كباقي الفرسان الذين يريدون إقناع العالم بفحولتهم،وكانت هديتي إليه منحته شارة الفحولة، وكانت تلك هديتي الوحيدة إليه. لذلك هو وهبني كل شيء إلا أن يعيد إلي إنسانيتي. لا أدري ما أتى بي إلى هذا العالم؟ ولماذا تركوني في ملجأ؟ ما أعرفه أنني الآن بين يديه، هو عرف كل شيء إلا من أكون.

حنّة تعيش طفولتها معي. وكلما كبرت ساعةً تزداد نيران عذابي، بسماتها الطفولية تكرر فيّ رغبة أن أقول لها، أنا لست أمك. لكن دون جدوى.
يهرب الكلام من فمي، فأتلعثم,أتدثر بالصمت. وببسمة كاذبة.
في ساعات أقول :
- ليت عقارب الساعة توقفت.
لكن ذلك الإيمان الذي زرعه فيَّ عبد الغني كزهرة حب، يمنعني من تكرار السؤال.
كنت أغبط أم عبد الغني كثيراً على عيشها دون ذاكرة، أن تعيش بلا ذاكرة.أن تعيش فقط لترى العالم عاريا من أي خلفية، أفضل من أن تعيش مع الأسئلة. ولا جواب!
عبد الغني لملم أجزاء مما تبقى من إنسانيتي، زركش حياتي بحضوره في حياتي. وحَنَّة جعلتني أمًّا لم أكن أتخيلها يوماً.
أجدني أشبه بنبتة شوكية تتدحرج في صحراء لا حياة فيها، قضيت حياتي في ملجأ و واصلتها في
الشارع، وها أنا الآن في بيت طويل عرض دفؤه الوحيد قلب عبد الغني، الذي لا أراه إلا في مساءاتي الحزينة.
تنبت لي جذور كل يوم، فأنا بلا جذور مسبقة، مثل زهور برية، لا وطن تستطيع أن تتنفس، تستطيع أن تعيش تستطيع أن تزهر ...لكنها أبداً لا يمكن أن تصرخ أنا لي...أنا لي أصل...لي جذور .

"و مذ قطعت من الغاب، والرجال والنساء لأنيني يبكون"

من قصيدة :أنين الناي لجلال الدين الرومي

العقد بل القيد الذي قيدني به فهد ، جعلني أفقد قدرتي على الحركة، كثير من السهرات وكثير من المعجبين وكثير من المال... كانت كلها قشا يتجمع ليشعل بداخلي نارا تحرق العالم...أردت دائما أن أكون عادية ، بسيطة ، لكنني ألآن صنع يد فهد، تشكيلة صوتية مهمتها ترديد نوتات و ترانيم لا تحس بها في العمق....

كنت أود بدل هذه الحياة المزيفة ، البقاء مع والدتي في تلك القرية الإيفرانية المهملة، إلا في أيام الربيع، كنت أود البقاء مع إخوتي فأرى ملامحهم وهي تتغير ... لقد فقدت دفئهم... كنت أود البقاء في تربة وطني ، أشمها فأنتعش وتنتعش روحي،وأحس بالانتماء...لكنني أرجع وأقول وجودي وجدواي في هذه الحياة، تحدد يوم التقيت السيد فهد، صحيح أنه استغل سذاجة صبية في ريعان العمر، لكنه جعل عائلتي تستمر في الحياة بكرامة ... الحياة في نظري مجموع تضحيات...مجموعة مطبّات ... مجموعة مغامرات ...أم هي لعبة؟؟؟ لعبة تحتاج عقل فيلسوف ليربح أشواطها الطويلة ، في كل مرة تشغلني هذه الأسئلة، وأنا وحدي في البيت، وأنا أعد لحفلة خاصة، أو أنا أتسوق مع صديقاتي... كنت لا أخرج بجديد ... فقد أعيد ما سبق وفكرت فيه .

السيد فهد، ذلك الرجل الظل، هكذا كنت أسميه، لأنه في الوقت نفسه ظلي في هذا الخليج الذي لا جذور لي فيه، وهو ظل سرعان ما يختفي بعد أن يوفر لي ما أريد.

عند نزولي الأول إلى أرض الإمارات كنت معي، نظرت إلى سماء هذا هذه الأرض ، وقلت في نفسي:

- لم هي حزينة ؟؟؟

أحسست ونحن نسير في السيارة من المطار إلى الفندق حيث سنقيم إلى حين تسوية وضعيتي،بأنني طير هُجّر من وطنه ليغني وليطرب في قفص، وهكذا كان... منذ ليلتي الأولى حدد لي فهد مسافاتي وحركاتي ولقاءاتي ... حدد لي باختصار هوامش حياتي ... وحتى عائلتي حدد لي أوقات نهاية الأسبوع للاتصال بها... كنت اقضي ساعات مع أمي في الهاتف، لم أشعر يوما بها كما أنا الآن ... أشعر بدفء كلماتها. أشعر بحنانها يكبر بداخلي كجنين. لكنني اصبر نفسي حينما أتذكر عذابات السنين التي قضتها عقوبة إجبارية من أجلي وإخوتي ... أُصبَّر نفسي ... أتَصَبَّر بالأمل والأيمان... أو لأَقُل بصراحة بما تبقّى منهما... فهنا ماديات الحياة تتلف كل إيماناتك ... تجعلك تبحث عن مال إضافي لتعيش كما الآخرين... هنا ليس من حقك الجلوس، الركون في المنزل ... عليك العمل لتعيش ...أو ستطرد كحثالة ...

لا أنكر أن فهد مكنني من المال... مكنني من حياة استحقها، مكنني من معانقة السحاب حقيقة، عندما رأيته أول مرة من نافدة الطائرة ، قلت في نفسي:

- كنت أحلم برؤية السحب، وها أنا ألامسها. لكن بأي ثمن؟؟؟

فهمت مع مرور السنين أن ثمن ملامسة السحب، وبعدها ملامسة النجوم، هو التنازل عن حريتك، أو التخلي عن

الذاكرة... كانت هذه مشكلتي الوحيدة هنا. لكن أغنياتي كانت تصبرني وتعطيني أوكسجينا آخر لأعيش أيام أخر.

كنت اشغل أغنيات فيروز لأتذكر إنسانيتي المفقودة، لكن صوت القرآن الذي اسمعه كثيرا، هذه

الأيام أيقظ روحي المتشظية،كنت أنصت بإمعان إلى شيوخ القراء، تعلمت منهم مقامات لم أكن لأصلها، سماوات حلقت فيها روحي لسنوات، لن تمحى من بالي وقفات وصمت الشيخ (*طه الفشني*) وهو يجود "سورة مريم "،

وقفته في السورة عند قصة نبي الله زكريا((قال كذلك قال ربك هو عليّ هيّن وقد خلقتك من قبلُ ولم تكُ شيئاً))، توقظ جوهري، روحي ... توقظ بداخلي قلبا يكاد يموت في بلد حاولت الانسجام مع هوائه وناسه كما يفعل سمك السلمون، حينما ينتقل من محل مولده في الوديان إلى أعالي البحار، لكنني ما قدرت يوما على أن أصبح خليجية الهوى، أشدو بلغتهم نعم، وهذه هي المشكلة، أشدو لهم ليطربوا ...ولأحزن...

.لكنهم لا يسمعون صوت بكائي ... أغني لهم عمن برَّحه الفراق،أبوح لهم بألم الاشتياق... لكنهم يصفقون ، يلزمهم البكاء لا التصفيق، كثيرا ما طلبوا مني أن أغني لهم "مقادير"، كانت مفضلتهم ، وكانت عذابي، بالقَدْر الذي أتقنها فيه، بالقَدْر الذي أبكي فيها من كبدي.

إنها تلخصني، تقول لهم حقيقتي، وبالقدر الذي أبكي فيه بصوت أجش... أفرح ...أفرح لأنني أحس براحة

وجودية...راحة أبدية، أنني انفجرت أمام الملأ وقلت ما أحسه...ما أريده...و إن استعرت لغة أخرى لأعبر...

مقاديـر يا قلبي العنا مقادير وش ذنبي أنا
مقادير وتمضي حياتي مشاوير وأتمنى الهنا
على ميعاد حنا والفرح كنا وكنا بعاد وعشنا
عشنا على الأمل حنا وكان الفرح غايب
وأثر الأمل كاذب مقـادير ... مقـادير

.... هكذا غدوت مطربةً خليجية بالنيابة لا بالأصالة عن نفسي وعن شعبي وعن أصلي. كناي نبت في الصين ليأن في الأصقاع البعيدة.

أشدو في المحافل والأعراس... والمناسبات... أشدو للسعداء، وأنوح للبائسين، و كلٌّ يظن أنني له رفيقة ولكن أيًّا منهم، السعداء و البائسين، لم يدرك حقيقة ما أنا فيه! !!

أريد أن أعود إلى بلدي .
أن أعمر فيه بيتا.
أن أصنع فيه ما يصنع البسطاء.
لكن الكفيل... يريد صوتي. وأنا وقعت منذ سنين على عقد احتكار مفتوح . فمن يسمعني! !!

ما أرادت همة سالك أن تقف عند ما كشف لها – إلا ونادته هواتف الحقيقة : الذي تُطلب أمامك ، و لاتبرجت له ظواهر المكونات – إلا ونادته حقائقها "إنما نحن فتنة فلا تكفر" (سورة البقرة ، آية 102).

الحكم العطائية، الحكمة العشرون **أبي عطاء الله السكندري**

4 وردة

...و أنا في السيارة، في طريقي الاعتيادي إلى الفندق، آثرت اليوم أن لا أشغل الموسيقى، جاء على بالي أن استمع إلى برنامج إذاعي ما... نَقبّت بصعوبة وسط كمٍّ من الإذاعات عن شيء مفيد ... كِدْت أيأس ... لكنني سمعت صوتا ما يردد :

- كيف يشرق قلب ؟؟؟

مررت على الإذاعة حيث سمعت، الجملة، لكنني تذكرت النبرة، رجعت بذهول إلى الموجة حيث مصدر الصوت، وإذا بي أسمع ما لم يكن بالحسبان، كلام ما سبق لي سماعه،

- كلنا مذنبون... كلنا مخطئون.. نقبل على الله تارة وندبر أخرى، نراقب الله مرة، وتسيطر علينا الغفلة أخرى، لا نخلو من المعصية، ولا بد أن يقع منا الخطأ، فلست أنا و أنت بمعصومين يقول خاتم الرسل محمد عليه الصلاة والسلام { كلُّ ابنُ آدمَ خطاءٌ وخيرُ الخطّائين التّوابونَ } [رواه الترمذي وحسنه الألباني.

كنت أنصت وأنا أقود سيارتي ليلا، و لا أشعر بشيء... أشعر فقط أنني أريد المزيد من كلمات الطهر ، المزيد من النقاء، حتى أنني ركنت السيارة في جنب الطريق وتوقفت للحظات، كي أواصل الاستماع، وسط زحمة الشارع وزحمة الحياة قليلا ما تتاح لك فرصة لتنصت إلى من يقودك إلى شمس الحق.

أنا كغريق يريد من يأخذ بيده، كالأعمى أريد بصيصاً من أمل، وشعاعاً من نور. ولكن أين الطريق؟

جاء الجواب من المذياع:

- والطريق واضح كالشمس، ظاهر كالقمر، واحد لا ثاني له... إنه طريق التوبة.. طريق النجاة، إن الباري سبحانه يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب منها ورجع عنها مهما كثرت، ومهما عظمت، وإن كانت مثل زبد البحر، فقال سبحانه: (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم) [الزمر 53 .

فكرت في الاتصال بالبرنامج لأحكي قصتي، كما يفعل الكثيرون،لكنني لم أملك الجرأة... فكرت وفكرت. لكنني ما وصلت إلى حل ...

قلت في نفسي:

- سأذهب إلى مدير الفندق، و أطلب منه نقلي إلى أي عمل آخر ولو كان تنظيف الأواني أو حتى المراحيض، لا يهم ...فأن تنظف مرحاضا خير من أن تكون أنت مرحاضا للآخرين ...

أريد أن أعيش في النور. كما الطيور التي تبدأ صباحها صباحا لا ليلا... أنا، صيرتني تفاهتي لعبة الآخرين...

أريد العيش بحيوية مفرطة كطفلة، أريد أن أغوص عميقا في روحي أو أن أقاطع كل شيء.

أريد أن أختلي بروحي فأضمدها كما ضمدت سنينَ آلاف المتعبين... أريد الرجوع إلى بيتي بعينين مفعمتين بالبراءة ...فلا خدع ولا خداع.

لم يعد بمقدوري الاستدارة بمهارة حول نفسي كراقصة بالي محترفة، كما أن الأيام أتعبت ذاكرتي، فصارت ملتهبة بالذكريات المؤلمة.أريد أن أنقد قلبي من انهياره الأخير.

لابد لي أن أتخلى عن مهنة بيع المتعة للآخرين... وأن أمتع روحي ...أن أنسى تجار الإهانة. لابد لي أن أرفع عقيرتي بالصراخ في وجه كل الناس :

أنا مثل كل البشر ، أريد الانتساب إلى جماعة التلقائيين والمندفعين ... ولما لا الثوار ضد الظلم، ما دامت الثورة طهرا... فأهلا بالموت.

أريد السكن جنب الأجنة الذين لم يولدوا بعدُ لأخبرهم بحقيقة دنياهم، حقيقة يلزمها الكثير من الوقت لتصير بارزة للعيان ... وناذرون من يرون بعين القلب .

أحس بنفسي كدعسوقة منقلبة على ظهرها، أنا بحاجة إلى من يقلبني ... من يقلب تاريخي .

الآن ، لا أريد اليقظة، أريد الإغفاء قليلا لأغمس راسي في الصمت ... وأركض إلى الله .

ضحكنا، وكان الضحك منا سفاهة وحُق لسكان البسيطة أن يبكوا
يحطمنا ريب الزمان، كأننا زجاج، ولكن لا يعاد له سبكُ

المعري

" كنا زهرات بريات نبحث عن قلوب نسكن فيها، ولا نغادرها، وها نحن في وطن، ولا وطن يأوي الأرواح. لا ملاذ لها إلا باريها. فهو الأصل و المَنْشَأُ والمُنْشِئُ ... و ما نحن إلا نفحات، أو عبير عابر ..."

*　　　　　*　　　　　*

جاءتني بطلاتي في المنام. زرنني كل واحدة تطلب مني نهايات سعيدة لهذه الحياة التي تكتبنا، والتي نعيد كتابتها.

كل واحدة منهن ترجو أن لا أنشر قصتها إلا بعد تحوير أو تشفير أو تدوير، طلبت مني نرجس أن أنسى أنها كانت نادلة حانة وأن لا أذكر اسمها الحقيقي (نعيمة) بل (نرجس)، مع أنني أفضل نعيمة، هي تريد أن تبقى نرجس كما يراها الناس. إنها تطلب مني تزوير تاريخ مر. فلم أجرؤ.

نوّارة ترجتني طويلا أن لا أنشر شيئا من قصتها القديمة، رغم أن زوجها يعرف كل شيء، لكنها ترفض أن تعرف ابنتها بالتبني قصتها، لو أدركت حقيقة أمها، قد تثور، قد تفعل أية حماقة، وهي المراهقة ...الآن تطلب أن أنافق لأرضيها، أن أزوِّر حياتها لتبقى مستقرة كما هي، بل راكدة كمياه آسنة إذا تحركت تخاف أن تنبعث روائحها. ابنتها بالتبني ستعرف مهما طال الوقت، فلم نختصر عليها الطريق... فنقول كل شيء؟

ياسمين، كانت الأجرأ وسط بطلاتي، فقد عرضت عليَّ رشوة، مالاً تشتري به ضميري. أرادت أن تعفيني من بهدلة الحياة، وأن تغنيني عن انتظار أجرتي الشهرية، صمتي يساوي مبلغا لا أحلم به، مقابل عدم نشر قصتها.

فضلت أن أعود متعبا إلى البيت بعد سماع عرضها المغري، حتى أنام كطفل هدَّه اللّعِب.
وفي الصبح ، نسيت كل شيء.
وردة كانت الأغرب وسطهن، لقد طلبت مني أن أكتب خبر وفاتها، وأن أنشره للعموم، أن أنهي وجودها من هذا العالم فلا أترك لها أثراً...
لكن هل خلقنا لنُنسى. أنا لا أفهم لماذا ألف كُتّاب القصص والروايات قتل أبطالهم، هل نصَّبوا أنفسهم مكان الله حتى يسيروا الكون وفق مشيئتهم؟
ناقشت وردة كثيراً...عساها تتردّد ...تتراجع...يصحو لها ضمير. أعطيتها كافة دلائلي عن أهمية نشر القصة ليستفيد الناس. ظلت مصرَّة، متشبثة بطلبها كغريق.
كلامي الأخير لبطلاتي :
لسست أنا من صنع حياتكن حتى أضع نهايتها، لست أنا من يقرر. لست أستطيع التحكم في الكون، في الوقت، أن أضبطه وفق رغباتكن ولا رغباتي .
كان جوابي لهن، لنرجس و نواره وياسمين ووردة، لزهراتي البريات:

- اخترن الطريق، أمامكن كل الحياة، لن أكون شهريار فأقطع كل صباح رأس واحدة.

أنتن طليقات...اذهبن...عشن الحياة...عشنها... لملمن ما تبقى منكن. أنتن قادرات، اعلمن أن ما يزركش الحياة ويمنحها المذاق هو الحب، وإذا عشقتن حقا فاعلمن أنكن لن ترين في المرآة إلا الفناء.

الحقيقة الوحيدة في هذا الكون أننا أموات، ننتظر بداية ساعة الحياة. لا تغرنكن هذه الأجساد المائلة.إن هي إلا أوثان، تلهي عن رؤية حقيقتها. هي أرواح تمشي مقنعة.
وفي الأخير رسالتي إلى زهراتي الأربع:
ثمة دائما من يستدرجنا إلى معارك لا نظافة فيها، ثمة دائما من يتلذذ بتمزيق وُرَيْقَاتِ الياسمين،
وثمة أنا.
هذه الساعات الحائطية تعذبني. تجرحني بعقاربها.
لأنها تذكرني بأن الكرة الأرضية تدور، و أن الأفكار في ذهني ما تزال تدور، لذا لملمت كلمات من ذاكرتي. و أعطيت للموت أمرا بالانتظار إلى حين أكمل موعودي . كي أعطي لزهراتي البريات حقّ الدفاع، حق الذاكرة في أن لا تصدأ. فيعتريها النسيان، لتصبح بلا جدوى. كقفل قديم، لا مفتاح يمكن من فتحه.
زهراتي طرن بعيداً... قرب الشمس، فالحب يموت في الظل. الحب ، دواء الذاكرة من جراح السنين...
كثيراً ما سعيت إلى جعلكن ملائكة بأجنحة بيضاء، لتطرن بعيدا و لا تقربن إلا الطهر. لكنَّكنَّ بشر، وحُقَّ للبشر الخطأ، ولذلك من حَقِّ الله أن يغفر... , وأنا من حقي أن أكتب...وأن أقول :
شمال الروح...سيزهر ربيع آخر ...

انتهى.

شمال الروح...يزهر ربيع آخر

منيــر بن رحــال

روايــة

تتحدث بطلات الرواية عن تجاربهن في الحياة، بصوت عالٍ، يكشفن عالمهن الخاص :

1 نرجس كانت تقول : ترى هل اشتراني بماله؟ هل حبه لي تعويض عن ما فاته من حياة مضت ؟ أم هو انتقام من تلك التي أحبها وخانت ذكراه بلا رحمة ؟

2 نوّارة : أن تعيش بلا ذاكرة. أن تعيش فقط لترى العالم عاريا من أي خلفية، أفضل من أن تعيش مع الأسئلة. ولا جواب.

3 ياسمين : إيفران، سويسرا مصغّرة في المغرب، أحبتها، لذلك هجرتها. ترى هل كتب على المحبين عذاب الفراق ؟

4 وردة : نادمة ! لا أدري. لكن الذي أدريه جيداً، هو أنني أحسد أي امرأة تعيش في ظل زوج... أما أنا فلا ظل لي.



منير بن رحال، من مواليد الدار البيضاء 1979، حاصل على دكتوراه في خطاب ومهن الإشهار. أستاذا للتعليم العالي مساعد، مادة اللغة العربية بالمدرسة الوطنية للتجارة والتسيير ENCG .
شارك في عدة ندوات وأبحاث.



Lauréat du prix 2M
pour la création littéraire
9ème édition 2015/2016

ISBN : 978-9954-21-482-4
Prix : Dhs - €